

حاصد الأرواح

رواية

عمرو ممدوح

الفصل الأول

وقف الطفل الصغير، الذى لم تتجاوز سنواته التسع سنوات، فى هذا الليل الشتوى القارس بملابسه الخفيفة المهلهلة، وسروال تعددت ألوانه بفعل الرقَع التى لا حصر لها، وقف خلف شاهد أحد القبور يتابع هذا المشهد الغريب..

عجوز محنى الظهر، نحيل الجسد والوجه، ذو أنف مدبب كمنقار طائر، يرتدى صديرى وشورت داخليًّا طويلاً، وعلى رأسه طاقية من الصوف الخشن..

أمسك العجوز بفأس وأخذ يزيح سطح التربة بجد ونشاط، ليصنع حفرة عميقة بأسفلها، ظهر باب من الحديد الصدئ.. إلى هنا المشهد معتاد فهذا العجوز (تُرَبى) المنطقة منذ عقود، وما يقوم به أمر روتينى عند حضور أحدهم وإبلاغه بوفاة شخص ما. لكن الساعة التى تخطت منتصف الليل بساعتين هى أمر مختلف، كما أن هذا القبر القديم منذ أن فتح الطفل عينيه الواسعتين، لم يرَه يُفتح أو حتى يأتى أحد لزيارته، كأنما انقرض نسل ساكن هذا القبر.

انتهى الرجل من الحفر قبل أن يخرج من جيبه سيجارة وحيدة يشعلها لينفث دخانها ثم يسعل، ويسعل بشدة لينظر خلفه ويشير بيده إشارة غريبة، ظهر بعدها رجل كان يختفى فى مكان ما..

لم تظهر ملامح الرجل، فثيابه السوداء وذلك الغطاء على رأسه يشبه ثياب جواسيس الملك أيام العصور الوسطى، عباءة ذات غطاء رأس تدلى على عينيه فاختفى نصف وجهه العلوى، وعلى كتفه حمل صرة من القماش لونها أيضًا أسود..

مد الرجل المتشح بالسواد يده إلى إسماعيل التربى بشىء قبل أن ينزل إلى القبر، فهم الغلام أنها أوراق نقدية عندما قبلها إسماعيل ووضعها على رأسه قبل أن يدسها فى جيب الصديرى..

اختفى المتشح بالسواد داخل القبر قبل أن يقول إسماعيل بصوت مرتفع:

- أتوكل على الله وأقفل؟

لم يسمع الغلام صوت الرجل بالداخل، لكن جسده ارتعد بشدة، ليس من الطقس البارد، ولكن عندما ثبت إسماعيل الباب الحديدى الصدئ وأخذ بمعوله يُعيد التراب مكانه.

إذن، الرجل دفن نفسه حيًّا!!!

وقد دفع جيدًا لإسماعيل الترَبى..

لـم يتمالـك الطفـل نفسـه فـأسـلم رجليـه للريـاح وجسـده كلـه ينتفـض..

●●●

انتفـض محسـن مـن فراشـه وهـو يتصبـب عرقًـا ويلهـث بشـدة كمَـن جـاء تـوًّا مـن سـفره عـدوًا..

مسـح بأطـراف أناملـه علـى عنقـه قبـل أن يمسـح علـى شـعره الأسـود الطويـل..

محسـن شـاب فـى العشـرين مـن عمـره، طويـل القامـة، نحيـل، ذو عينـين واسـعتين، حاجبـاه مرتفعـان متصـلان عنـد الجبهـة، وجهـه نحيـل كجسـده، حـادّ الملامـح، مُدبـب الأنـف طويلـه، شـفتاه دقيقتـان..

فـرك محسـن عينيـه محـاولاً التخلـص مـن آثـار كابـوس لا يفارقـه منـذ أحـد عشـر عامًـا مضـت..

نـزل بقدمـه يتلمـس الأرض البـاردة وهـو يحـك جلـد مؤخـرة رأسـه بأظافـره، يتلمـس أى نعـل يحميـه مـن الأرضيـة البـاردة..

فراشـه عبـارة عـن مصطبـة مـن الجـصّ، غطـت بثـلاث بطاطـين صوفيـة قديمـة ووسـادة متقرحـة مـن العـرق..

خرج محسن من الغرفة التى هى عبارة عن حوش لأحد القبور، فبمنتصف الغرفة تمامًا شاهد يرتفع مترًا تقريبًا عن الأرض، وضعت عليه ملاءة متهالكة لتغطيته، قد استُخدم كرَفّ وضع عليه كتبه وبعض مستلزماته..

اتجه بفانلته، التى احتوت على عدد من الثقوب، إلى الخارج، ليجد نفسه أمام مجموعة من شواهد القبور مبعثرة بشكل ما، إلا أن أحد هذه الشواهد بالتحديد كان يصيبه بقشعريرة كلما وقعت عيناه عليه..

صنبور ماء لا يرتفع عن سطح الأرض أكثر من نصف المتر، فتحه وأخذ يغسل وجهه قبل أن يرتدى ملابسه التى كادت تصرخ فيه أن يرحمها!

سروال من الجينز من الصعب التعرف على لونه فهو أصبح يشبه تراب المقابر من حوله، وقميص كان يومًا ما أبيضَ بياقة عريضة تحيطها خيوط داكنة اللون من آثار الوسَخ، وخط يقطعها بالطول، ينبئ بذوبان النسيج..

التقط عدة كتب من أعلى الشاهد قبل أن ينطلق خارج الباب الحديدى، الذى يجمع حوشًا كبيرًا من المقابر خلفه..

طريق ترابى طويل، كان حذاؤه البالى يغوص فيه ليجد نفسه على طريق رئيسى فيقفز فى أحد الأتوبيسات متجهًا إلى الجامعة..

كان مظهره المزرى مثار سخرية لطلبة السنة الرابعة من كلية الحقوق، وربما الفرَق الأخرى؛ فهو لم يستبدل ملابسه منذ السنة الأولى بالجامعة عندما توفى والده "إسماعيل الترَبى" قبلها بأشهر قليلة، وقد سبقته زوجته بسنوات بداء الربو..

أمام مبنى الكلية تمامًا تسمَّر نظره على تلك اللوحة التى لا يستطيع فنان -أى فنان- أن يضاهيها.... ريهام، جميلة الجميلات بالجامعة، شعرها مائل إلى الصفرة، عيناها زرقاوتان، ممشوقة القوام، بيضاء البشرة، كأن وجهها يشع نورًا..

محسن يتابعها ببصره وهو يشعر بغصّة فى حلقه ومرارة، فذلك القلب اللعين لم يترك له الخيار، ودون تردد وضع ريهام بداخله..

لم يحدثها يومًا بأكثر من نظرات مختبئة عن أعين الزملاء، وربما تحية صباحية تلقاها منها ذات صباح، جعلت ذلك اليوم أسعد أيام حياته..

ترددت على أذنه -كالعادة- بعض الضحكات والعبارات الساخرة لتحطم بعضًا من كبرياء لم يعرف يومًا مصدره، فوالده التربى الفقير الذى كان يعيش ويعيشهم على نفحات زوار المقابر أيام الزيارة المتعارف عليها، عندما يقوم محسن، الطفل الصغير، برش المياه وتنظيف المكان بمساعدة أمه المريضة، التى بدا وجهها كمومياء فرعونية سيئة التحنيط..

وفى نهاية النهار، يطوف على الزائرين لجمع بعض المخبوزات والصدقات على أرواح المراحيم، ويكون فى النهاية نصيبه ووالدته بعض المخبوزات، أما النقد فنصيب والده لشراء الحشيش والمعسل وسهرة إلى الصباح مع ثلة من المتسولين واللصوص الذين يسكنون فى مقابر مجاورة، أو عشوائيات تحيط بالمقابر...

وعندما مات والداه، اللذان استكفيا به وحيدًا، ظل ساكنًا فى تلك المقبرة التى وُلد فيها.

كان الغيظ يفتك به كلما سمع الساخرين من الزملاء، فهو حتمًا لا ينتمى إلى أى مكان سوى مكان واحد، هناك دائما يجد ضالته.. إنها القرافة؛ هناك هو السيد بلا منازع...

انتهت المحاضرات وخرج الطلاب جميعًا من المدرج، فتأخر هو عن عمد حتى يكفى نفسه شر السخرية التى لا تفارق أذنيه، ولكنه فجأة سمع صوتا جعل العرق ينساب من بين وجنتيه:

- محسن، إنت فاضى شوية؟

التفت إلى مصدر الصوت لتتجمد أوصاله فجأة!!!

- ريهام؟!!!

إنها تحدثه، هى تقف أمامه مباشرة لا يفصله عنها سوى سنتيمترات قليلة..

- إنت فيك حاجة؟؟

قالتها ريهام وهى تنظر إلى ملامحه المتوترة والعرق ينساب فيغطى وجهه، ما دفعها لأن تنتزله منديلَ ورقيًّا ليجفف عرقه..

تناول المنديل ببطء وهو لا يكاد يصدق هذا المشهد الذى يجمعهما.. محسن وريهام.

قالت:

- الواضح إن الوقت مش مناسب خلاص نبقى نتكلم بعدين؟؟

- لأ...

كادت تنصرف حين خرجت عبارته كالصراخ فالتفتت إليه متعجبة، فتهدج صوته وهو يقول:

- لأ، أنا فاضى اتفضلى كنتِ عاوزة حاجة؟!

كان من المستحيل عليه مع تلك الابتسامة الساحرة أن يتركها ترحل.

- كانت فيه مشاكل فى القانون الجنائى كنت عاوزاك تشرحهالى لو وقتك يسمح.

هى تسأل؟ ألا تعرف أن إشارة من خنصرها كفيلة بأن يلقى بنفسه فى أتون من الجحيم!!!

- أى وقت أنا تحت أمرك لو تحبى دلوقتى.

ابتسمت بدلال وهى تسبّل عينيها، فشعر بقلبه يتقافز كأن له جناحين..

- أوك.. تعالَ نقعد فى الكافيتريا..

لم تمضِ دقائق حتى كان يجلس بجوار الفتاة الأكثر جمالا وشهرة بالكلية، والعيون مثبتة عليهما..

غمزات ولمزات من الطلاب، ونظرات ساخرة وأخرى متعجبة....

لم يلتفت محسن لأحد فهو الآن فى عالم آخر تماما، أخذ يشرح المادة بإخلاص، نصف ساعة مرَّت قبل أن يقترب رجل أشيب الفودين، تسلل الصلع إلى منتصف رأسه..

- ريهام، إنتِ بتعملى إيه هنا؟؟

جعل صوت الرجل محسن ينتفض من مكانه واقفًا، فى حين ابتسمت هى قائلة:

- بابا؟؟؟؟

نظر الرجل إلى محسن، الذى بدا متوترًا، نظرة اشمئزاز واضحة وهو يتفحص ملابسه الرثة.. فقالت ريهام:

- محسن زميلى فى الدفعة..

أعاد الأب نظرة خاطفة وكأن الشخص الواقف أمامه وقد مد يده ليصافحه لكنه تجاهل اليد الممدودة وقال لابنته:

- يلا بينا لازم نمشى...

انطلق الاثنان وسط ضحكات مكتومة من الطلبة الذين أخذوا يراقبون الموقف عن قرب..

شعر محسن بستار أسود يتسلل إلى عينيه، ورجفة تدب فى أطرافه وهو يلملم كتبه وينصرف وكأن دشًّا باردًا قد فُتح عليه فجأة...

●●●

- محسن.... محسن

كان مصدر الصوت فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها تقريبًا، رثة الثياب، شعثاء الشعر، الذى يتطاير بشكل مقزز أعلى رأسها..

ترتدى جلبابًا رثًّا، تلاشى لونه الأصلى، مليئًا بالبقع مثل تلك الاتساخات على وجهها وكأنها لم تغسله منذ زمن طويل..

شمّرت أكمامها إلى قرابة مرفقَيها، فظهر كُم لـ"بادى" قديم..

كان جسدها ملفوفًا ممشوقًا، برز نهداها شامخَين، وإلى الخلف ردفان منتصبان كأنهما كرتان صغيرتان، وشفاه غليظة عليها بقايا طعام على شكل حبيبات..

- تعالى يا فايزة...

دخلت فايزة لتجده مُلقى على فراشه الحجرى بحوش المقبرة... كان قبل دخولها شارد الذهن يشعر بغصة فى صدره من تلك السخرية التى لاقاها من زملائه، وذلك التجاهل المتعمد من والد ريهام..

لقد أخطأ عندما تخيل يومًا أنه يمكن أن يغير قدره... وأى قدر! مجرد ترَبى يسكن المقابر يجاور الأموات أو أشباه الأموات. ها هى فايزة مثال حى لجثة تمشى على قدمين، فملابسها لا

تفرق كثيرا عن كفن أكلته تربة الأرض، ووجهها المليء بالأتربة كمَن هربت من الدفن فجأة، حتى عيناها بلونهما الغريب المائل إلى الصفرة من كثرة تناول الزيت فى الفول والطعمية، نظراتهما بلا حياة..

اقتربت منه فى هدوء قبل أن تنقض على شفتيه تلتقطهما بين شفتيها فى شهوة عارمة، إلا أنه أبعدها فى عنف قائلا:

- أنا تعبان النهارده يا فايزة مش هينفع خالص..

نظرت إليه نظرة غاضبة:

- ودا من إمتى؟

اعتدل جالسًا وقال:

- معلش، يوم من نفسى أرتاح..

اقتربت منه فى غنج فشلت فى إخراجه بطبيعتها الخشنة، وقالت:

- ما أنا اللى بريّحك على طول، إشمعنى النهارده؟!!

ارتفع صوته فجأة وقد بدأت تثير غضبه:

- قلتلك النهارده لا، يلا مع السلامة..

غضبت بشدة قبل أن تبصق على الأرض وتخرج تجر أذيال الخيبة..

تمدد على فراشه، ووضع زنده على جبهته وهو يراقب السقف المرتفع..

لم يدرِ كم مرَّ من الوقت عليه وهو بهذه الحالة حتى شعر بدافع عجيب جعله يقفز فجأة خارجًا إلى الحوش الكبير، الذى ضم عددًا من شواهد القبور...

وقف يطوف ببصره على الشواهد وهو يرتجف من البرد الذى بدأ يتسلل إلى جسده بهذه الملابس الخفيفة وسط هدوء وصمت القبور.. الموت يحيطه فى كل مكان.. هذا هو مكانه الحقيقى الذى قُدر له.. أن يحيا بين الأموات... هل هو حى حقًّا؟!!!.. ليست الحياة بنبض يدب فى جسده النحيل، ولا بأنفاس تتردد على رئتيه ولا حتى بجسد فايزة ونشوة تدوم لدقائق ثم تنتهى!!!

- أنا ميت زيكم ولا أنا عايش؟؟ ردوا على.

خرجت العبارة منه كصرخة رددت شواهد القبور صداها خلفه..

بالطبع لم تأتِه الإجابة، فنظر إلى القبور ساخرًا..

- طب قولولى لقيتوا إيه هناك؟؟ لقيتوا الجنة وسعادتها ولا الجحيم وناره؟!! أكيد الجحيم هناك أرحم من اللى أنا فيه هنا...

اقترب من أحد القبور وركع على ركبتيه وقد اغرورقت عيناه بالدموع فأخذت تغطى وجهه..

- ليه سيبتونى لوحدى هنا؟ ليه مأخدتونيش معاكم؟!!

أسقط وجهه فى التراب ومضى ينحب بشدة و.......

أظلمت الدنيا تمامًا....

●●●

أدخنة كثيفة تملأ الحوش بأسره، ومن بعيد عند أحد القبور وجد محسن التربة تسقط إلى أسفل كأن أحدهم يحفر من الأسفل..

نظر محسن مذهولاً، وهو يشاهد حفرة تتسع أكثر فأكثر، والأدخنة تتصاعد منها، وفجأة ظهر شىء غريب..

كان رجل مختفى الملامح، يرتدى جلبابًا بغطاء رأس أسودين، ينسدل غطاؤه على عينيه فلا يظهر من وجهه سوى شفتيه وأرنبة أنفه..

شعر محسن ببرودة تجتاح عموده الفقرى، ورجفة تضرب أوصاله من الرعب.. حاول أن يصرخ لكن صوته لم يخرج..

فكر أن يهرع مسرعًا ليهرب من ذلك الرجل الذى أخذ يقترب إليه بخطوات رتيبة..

إنه نفس الرجل الذى رآه يُدفَن على يد أبيه منذ عشر سنوات، هل من الممكن أنه ظل حيًّا طوال هذه الفترة؟!!

رفضت أطرافه الاستجابة له فشعر كأن قبضتين من الفولاذ تمسكان بقدميه إلى الأرض فلا تتحركان قيد أنملة.. وشعر أنه فقد الاتصال بذراعيه...

كان الدخان يزيد كثافة كلما اقترب منه الرجل بزيه الأسود أكثر فأكثر، حتى أصبح مواجهًا تماما لوجه محسن، الذى فغر فاه وهو يتفحص وجه الرجل الذى اختفت ملامحه تماما، حتى عندما اقترب من وجه محسن، يدير رأسه كأنه يتفحصه، بدوره لم تتضح ملامحه.. لماذا؟!!!!

ربما ليس له ملامح، أو أن وجهه مخلوق من ظلام!!!!

كان الرعب يقتل محسن وهو يشعر بقيده يزداد ثقلاً وقوة، كأنما يجذبه إلى باطن الأرض... يريد أن يصرخ فلا تستجيب أحباله الصوتية...

علا صوت همهمات من حوله والرجل يرفع يديه المغطاتين بقفازين أسودين رقيقين، رفعهما بوضعية تشبه الدعاء..

صوت قرقعة مكتومة..

حرّك محسن عنقه محاولاً استكشاف ما يحدث ليرى القبور تتهاوى إلى الأسفل، ويظهر جيش من الموتى يلتحفون أكفانهم البالية، تتساقط من عليها آثار التربة... وجوه بلا عيون، بل حفرتان مكان العيون. إن رؤوسهم عبارة عن جماجم وأيديهم عظام خالية تماما من اللحم والجلد، إنهم هياكل عظمية...

انتظموا جميعا وتوجهوا مباشرة إلى محسن الذى اتسعت عيناه بشدة وهو يشاهد عشرات الأيدى العظمية تمتد لتمسك به...

حاول المقاومة لكنه لم يستطع... جحظت عيناه بشدة والهياكل تمسك بيديه وقدميه، والرجل يقترب منه أكثر وفى يده ظهر جسم لامع، إنه خنجر، وشق صدر محسن الذى فتح فكه إلى آخره، محاولاً الصراخ، والدماء تسيل على صدره بغزارة، ثم يمد الرجل يده يتحسس الجرح فى صدر محسن، وفجأة يضغط بشدة قبل أن يبتعد بيده. كان الألم يعصف برأس محسن، وما زالت صرخته ترفض أن تفارق حلقه....

شىء لامع يبدو أنه يتحرك فى قبضة الرجل.. دقق محسن النظر.. إنه شىء مرن.. نعم، يتحرك بانتظام...

"قلب".. نعم، إنه قلبه.. قلب محسن قد انتزعه هذا الرجل من بين ضلوعه. صرخ محسن فى هلع.. لكن هذه المرة خرجت صرخته أخيرًا.......

●●●

كان كابوسًا بشعًا ذلك الذى رآه محسن، الذى وجد نفسه ملقى على تراب المقابر، حيث كان يقف ليلاً... يبدو أنه فقد وعيه هناك، إلا أن هذا الصوت الذى خرج من حلقه على شكل صرخة انتزعه من غيبوبته انتزاعًا..

نظر إلى ملابسه ليجد التراب قد غطاها وقدمه..

دون وعى منه حانت منه التفاتة إلى هذا القبر القديم المدفون فيه الرجل المتشح بالسواد، والذى خرج منه فى كابوسه..

تذكر فجأة ذلك الحلم المفزع، وبحركة لا إرادية تحسس جسده كمَن لا يصدق أنه مجرد حلم..

عند لمسه منطقة الصدر، شعر فجأة بألم يشبه الناتج عن لسعة نار..

كانت روحه تسبح فى ظلام دامس وشعور غريب بثقل على صدره كمن حمل هموم الدنيا..

مرة أخرى، وخزة تسرى فى منطقة الصدر، ما دفعه لرفع قميصه البالى، والتوجه إلى مرآته القديمة لينظر إلى صدره..

جحظت عيناه بشدة حتى كادت مقلتاه تقفزان من محجريهما وهو ينظر إلى تلك العلامة على صدره...

لم يكن مجرد جرح أو حرق، بل رسمة مميزة يعرفها جيدًا، وجيدا جدا، إنها نجمة خماسية لونها أحمر داكن كأنها حُفرت على جلده بالنار توًّا....

كان الرعب يسيطر على عقله تماما وهو ينظر إلى هذه النجمة الشيطانية ذات الرؤوس الخمسة، وفى المنتصف تماما وجه حيوان، بل وجه جَدى بقرنين طويلين...

القراءة والاطلاع بالنسبة لأمثاله رفاهية زائدة عن الحد، ولهذا لم يعرف وقتها أن هذا رمز مباشر للشيطان المعروف "إيفومنت" الشهير..

لم يكن الرمز يعنيه فى شىء بقدر ما شغله كيف حفر هذا الرسم على جسده ومتى؟؟

مرة أخرى لمس الوشم ليشعره بوخزة هى الأقوى منذ اكتشافه للرمز، كاد يصرخ ألمًا..

شىء ما يحدث لا يعرفه...

المقبرة القديمة.. إن حل اللغز يقبع هناك حتمًا...

هرع مسرعًا إلى هناك وهو يرتجف، فمنذ عشر سنوات لم يقترب إليها، بل كان يتحاشى أن يقع بصره عليها حتى بقدر الاستطاعة، ها هو الآن يقف أمامها مباشرة..

"مدفن عائلة الحاج البنهاوى"

هكذا نقش عليها بالخط الكوفى الذى بهتت ألوانه على مر السنين..

كان قلبه يدق بسرعة، حتى اعتقد أن لو ثمة أحد قريب سيسمع صوت دقات قلبه..

نار مشتعلة فى هذا النقش على صدره، كلما اقترب من القبر زاد الألم..

وضع يده على صدره من شدة الألم الذى انتزع من بين شفتيه آهة ألم...

كان يفقد تركيزه من تلك النيران التى شعر أنها تشتعل فى جلده..

التربة المحيطة بالقبر بدت مستقرة على هذا الحال منذ سنوات، فلا آثار لحفر ولا أى شىء مما رآه فى حلمه...

لم يستطع مقاومة الألم المتصاعد الذى أخذ يضرب رأسه بشدة، فهرع عائداً إلى مسكنه ليشعر بهدوء تدريجى للألم..

جلس على تلك المصطبة أمام الحوش الذى يسكنه، وعيناه لا تفارق القبر اللعين.....

●●●

الفصل الثانى

- يابا أنا شُفت كل حاجة بالليل..

- شُفت إيه يا ابن الكلب انطق؟!!

سعل الطفل بشدة وهو ينظر لعينى أبيه العجوز الذى أمسكه من عنقه حتى كاد يقتله..

تحشرج صوت الطفل وهو يقول:

- لا.. لا.. مشُفتش حاجة خالص..

نظر إسماعيل العجوز نظرة جعلت الطفل، الذى تخطى سنواته العشر ببضعة أسابيع، يبول فى سرواله المقطوع وهو يقول:

- لو فتحت بقك تانى هدفنك فى أى تربة، فاهم؟

- فاهم... فاهم...

أفلت العجوز ابنه الذى انطلق هاربًا من أمام والده وهو ينتفض بشدة..

مرت أيام ونسى الطفل محسن أو تناسى كل ما حدث، فهذه الفترة هى الأفضل حيث ذاق طعم اللحم لأول مرة منذ شهور طويلة، كما أن جسده لأول مرة فى حياته يلمس ثيابًا جديدة كما ظنها، فلقد اشترى له والده ملابس من الوكالة هى أفضل كثيرًا مما اعتاد عليه...

كان يعلم يقينًا أن هذا البذخ هو الأثر المباشر لنفحة كبيرة تلقاها إسماعيل التربى مقابل دفنه الرجل ذا الزى الأسود...

لم يعكّر صفو هذه الأيام، بل العشر سنوات التالية كاملة، سوى هذا الحلم الذى أصر دائما على تذكيره بالحادث..

وخزات متتالية تعيد محسن لوعيه عائدا من ذكرى قديمة تمنى أن تمحى ولكنها أبت دائما إلا أن تراوده..

ظهر فى السماء شفق برتقالى يشير إلى غروب الشمس، وهو لم يبرح موضعه لساعات طوال تراوده ذكريات الطفولة وأحلامها متداخلة مع فايزة التى اعتاد أن يتلذذ بتكبيلها أثناء الجنس ورؤيتها تتألم من أثر عصى الجريد تمزق جلدها قبل أن ينخرطا فى لذة من النشوة.... فايزة مريضة، فهى تتلذذ بالتعذيب، شغوفة بالجنس، فلا تكتفى من المضاجعة ولا من الألم، فكلما تألمت ثارت شهوتها، وكلما ظهر الألم على ملامحها زاد هو هياجًا...

ألا يكفيها آلام الحياة؟؟ أم أن الألم لأمثالهم أصبح أسلوب حياة؟!! هو يعرف أن لذته تعود لشىء بداخله، فهو يثأر من الدنيا فى جسدها، فهى الدنيا بشغفها وقبحها... ولكن ما هو شعورها الممتن للألم؟!!

ريهام.. يكفى أن يتذكر هذا الاسم ليدور رأسه كأنه شرب حتى الثمالة، إنها الدنيا بجمالها، ذلك الجانب من الدنيا الذى لم يحيَه ولن يحياه.. فقط، الوجه القبيح "فايزة" هو ما سمحت به الأقدار..

انسدلت خيوط الليل الأولى بظلالها على شواهد القبور، فخُيل إليه أن مَن فى القبور يخرجون...

وخزات متتالية فى جلده، ولفحة نار تحرقه..

ماذا حدث؟ ماذا يحدث؟؟؟

الظلام يهبط فارشا بسطه على القبور، يبدده ذلك البدر فى كبد السماء، ليخلق جوًّا زاده رعبًا..

يومًا كاملاً يجلس وهو يحملق فى شواهد القبور، يوما كاملا لم يتحرك قيد أنملة كأنه تمثال من الجرانيت...

فجأة، لاح ظل غريب رآه يتحرك بين الشواهد يتستر فى الظلام...

فى البداية، اعتقد محسن أنه أحد خيالاته أو كوابيسه، لكنه حقيقة، إنه الآن حقيقة..

ماذا عليه أن يفعل الآن؟ هل يصرخ كخفير عجوز: "مين هناك؟"، أم يتحرك ليرى مَن ذلك المتطفل؟؟

لمح بالقرب منه عصيًّا غليظة من جذوع الشجر، التقطها ومشى بهدوء وبطء إلى حيث رأى الظل..

خطواته حذرة... شعر بأنفاس تتلاحق خلف أحد المشاهد، لوّح بهراوته فى الهواء مستعدا لأن يهشّم بها جمجمة ذلك المتسلل.. و..

- محسن....

كان صوتًا مألوفًا... أنثويًّا مألوفًا... فايزة، تلك العاهرة.. فكر للحظات.. يا لها من فتاة عاهرة.. هل ينقصه من الرعب حتى تكمل هى عليه بتسللها غير المبرر هذا؟!

غضب بشدة وكاد فعلاً يسحق رأسها بهراوته وقال:

- فايزة... إنتِ إيه اللى بتعمليه ده؟!

ضحكت بشدة:

- إنتِ خُفتِ يا بيضة؟

نظر إليها باشمئزاز واستدار عائدًا...

مشت خلفه وهى تسرع الخطى للحاق به:

- يا واد إنت واحشنى قوى وعاوزاك، قلت أضحك معاك عشان تفرفش كده...

رغم ما هو فيه، فإنه نازع نفسه قائلاً: "هذا وقتها"، ربما بعض من النشوة تنشّط خلايا مخه..

جذبها من يدها بعنف وضمها إلى صدره وهو يلتقم شفتيها بعنف دقيقة كاملة، قبل أن يتركها مسبلة العينين تترنح، فتشعر أن قدميها لا تقويان على حملها، وتطلق تنهيدة خرجت كلهيب يغادر جوفها..

تناول محسن حبلاً بعد أن خلع ملابسه كاملة سوى سروال قصير، وأمسك بيديها ليضمهما خلف ظهرها ويضغط بقيدها حتى خرجت من بين شفتيها أنه ألم بالرغم عنها، رغم امتعاض ملامحها التى تنبئ بنشوتها..

ساحر الكتب

ألقى بها على الفراش بعنف قبل أن يشق جلبابها حتى وسطها، فيبدو جسدها بضًّا طريًّا، ونهداها ككرتين من العنبر..

رغم وجهها المقزز فإن لها جسدا يشع أنوثة وشهوة..

تحسس جسدها بيده قبل أن يرفعها بيده ويديرها لتعطيه ظهرها..

رفع العصا وضربها ضربة خفيفة جعلت ردفيها يهتزان، ثم تبعها بضربة ثانية أشد من الأولى، وثالثة ورابعة، وفي كل مرة كانت تصرخ بغنج المنتشية وهي تخرج بعض الكلمات البذيئة لإثارته..

فجأة، شعر محسن بدوار غريب وسحابة سوداء تطل على عينيه، وصوت فايزة يأتي من مكان بعيد:

- كفاية، تعالَ بقى محتاجالك....

لكنه ظل يبتعد ويبتعد بعقله الذي سيطر الظلام عليه تمامًا، وغاب عن الوعي لوقت لم يعرفه تحديدًا، لكنه عندما فتح عينيه رأى أكثر الأشياء رعبًا على الإطلاق.....

●●●

عندما فتح عينيه وجد أمرًا جعله يفتح عينيه عن آخرهما، وفكه السفلى يسقط على صدره....

لدقائق طويلة شعر أن عقله توقف تماما عن العمل وأنه فقد الاتصال بأطرافه..

كانت فايزة راقدة أمامه، ولكنها على ظهرها، لكن الغريب هو بركة الدماء حولها، والأكثر غرابة كان فجوة فى صدرها تماما...

شعر بحمم تتصاعد إلى رأسه وهو يرى هذا المشهد البشع أمامه، وعينى فايزة الجاحظتين فى هلع ما زال يرسم ملامحه على وجهها...

كاد يصرخ لولا شعوره بجسم مرن كان فى قبضته..

رفع كفه أمام وجهه ليرى الدماء تسيل من يديه، وشيئًا داكنًا لامعًا، له مرونة غريبة.. إنه ينبض!!! نظر برعب إلى هذا الجسم ليعرفه من فوره، إنه قلب....

الآن يعرف سبب الفجوة فى صدر فايزة، لقد نزع قلبها من مكانه...

رأى الدماء تغرق جسده العارى وسرواله القصير....

هل قتلها؟؟

ولكنه لا يذكر أى شىء، لقد كان غائبا عن الوعى!!

هناك أمر لم يلاحظه عندما عاد لوعيه.. إنه كان واقفًا وليس ممددًا أرضًا كما هو المفروض أن يحدث...

أى شيطان يفعل هذا الفعل البشع! يقتل وينتزع قلب ضحيته؟!!! أى مخلوق آتٍ من أعماق الجحيم تلبسه ليفعل فعلته... القلب فى يده والدماء على جسده و.......

ما هذا الشىء اللامع بجوار الجثة...

وضع القلب على صدرها قبل أن يلتقط ذلك الشىء يقلبه فى يده.

"منجل"!!!!

كان ذلك السلاح، الذى يستخدمه الفلاحون فى الحصاد، ذو اليد الخشبية، وسلاح معكوف طويل.. كان غارقًا بالدماء، حتمًا هو سلاح الجريمة...

سقط المنجل من يده وهو يشعر بخدر فى أطرافه ويصعد إلى رأسه. انتحى أحد الأركان وتقوقع على نفسه وهو يرتجف بشدة...

تزاحمت فى رأسه الأفكار والأسئلة، وتاهت كل الأجوبة وهو

ينظر إلى تلك البركة من الدماء حول فايزة، وقلبها المنزوع الذى توقف توا عن الخفقان، وعينيها الجاحظتين فى رعب كأنها تنظر إلى الشيطان ذاته..

كان يجلس قبالة الباب مباشرةً عندما حانت منه التفاتة إلى الخارج فجأة، ليرى ظلال نيران تشتعل بشدة..

تحرك فى اتجاه مصدر النيران ببطء حذر، وما إن واجه الساحة المليئة بمشاهد المقابر حتى توقف فجأة وهو يرى هذا الشىء على بُعد عشرين مترًا تقريبًا .!!!!!!

●●●

كانت رؤية محسن ضبابية إلى حد كبير، إلا أنه لا يمكنه أن يخطئ فيما يراه أمامه..

كان عمود ضوء صاعد مباشرة من داخل قبر البنهاوى، الذى دُفن فيه الرجل ذو الثياب السوداء!!

لم يكن فقط الضوء الأرجوانى هو ما لفت نظره وأثار دهشته فجعل عينيه تقفزان من محجريهما، بل ذلك الرجل الذى يحمل الصرة وثيابه السوداء.. ملامحه تختفى تحت غطاء رأسه، الرجل يدخل إلى عمود الضوء الأرجوانى وينزل إلى القبر ليختفى تماما...

كان المشهد عجيبًا.. جعل محسن ينسى تمامًا جثة فايزة الغارقة فى بركة من الدماء الطازجة وقلبها المنزوع...

اقترب محسن من القبر ببطء فى خطوات متثاقلة وهو يتابع الضوء الذى بدأ فى الاختفاء تدريجيًّا حتى اختفى تماما عند وصوله إلى مشهد القبر!!!

كان جسده يتصبب عرقًا بغزارة رغم برودة الشتاء القارسة، وجسده العارى الغارق فى اللون القرمزى الداكن من آثار الدماء التى جفت عليه..

القبر كما هو فلا آثار لحفر، فالتربة مستوية كما اعتاد رؤيتها دائما..

ازدادت الحيرة فى عقل محسن الذى شعر بأنه فى كابوس ثقيل، تمنى أن يستيقظ منه دون فائدة، فهو يعلم أنه الآن فى كامل وعيه وليس نائمًا كما يتمنى...

فجأة، لمعت فى رأسه فكرة.. هذه الجثة بالداخل ودماؤها على يده، وجسده العارى، دليل على جريمة قد تقوده إلى المشنقة دون هوادة...

هو لا يتذكر أنه فعلها أو لماذا قد يفعلها، لكنه حتمًا مُدان. إنه يعرف القانون جيدًا، فالأمر برمته يشير إلى أنه القاتل...

فكر سريعًا وقد بدأ ذهنه يستعيد صفاءه بسرعة، فهو الآن فى موقف لا يُحسد عليه على الإطلاق...

شعر بوخزة فى جلد صدره، لكنه حاول جاهدا الحفاظ على تركيزه...

"إذا لم تكن هناك جثة فلا توجد جريمة".

هكذا حدّث نفسه، فالخطوة الأولى الآن هى أن يتخلص من جسم الجريمة.. فايزة هى جسم الجريمة...

ليس الأمر بالصعوبة المتخيلة، فهو يسكن فوق كم من المقابر قد يفى أحدها بالغرض...

هناك مشكلة واحدة إذا استخدم قبرًا ما، ثم فوجئ بجنازة لهذا القبر، حتمًا سيُفضح أمره!

فكر سريعًا قبل أن يتحرك إلى الداخل، نظر نظرة سريعة إلى الجثة الهامدة شبه العارية أمامه، وتلك الفجوة بين نهديها، قبل أن يسحب مفرشًا بلاستيكيًّا من تلك المستخدمة على المكاتب والأرفف ذات الرسومات، قد اختفى لونه تماما لكنه حتمًا يفى بالغرض...

وضع المفرش على الأرض قبل أن يسحب الجثة من إبطيها ويسقطها فى منتصف المفرش تماما...

كان القلب الموضوع على الجثة قد سقط على بُعد خطوات...

التقطه بيده، وجسده ينتفض بشدة، والعرق يعيق الرؤية فيمسحه بزنده جاهدًا..

الوخزة فى صدره تزداد كأنها نار تشتعل، حتى خُيل إليه أن جلده يذوب فى هذه المنطقة..

لفَّ المفرش حول الجثة، وبعناء حاول حملها، وفجأة تحركت الجثة....

انتفض جسده برعب وهو يتراجع خطوتين أو ثلاثًا، وعيناه مثبتتان على الجثة التى شعر أن الحياة دبّت فى أوصالها فجأة قبل أن يطلق زفرة طويلة...

إنها تلك الحركات اللا إرادية التى تصدرها الجثث عادةً...

اقترب من الجثة مرة أخرى، ورفعها وهو يلهث من هذا الوزن.. فايزة لم تكن سمينة لكنها أيضًا لم تكن نحيلة، غير أن جسده الضعيف لا يقدر على حمل مثل هذا الوزن، لكن الضرورات...

سار بالجثة على ذراعيه، يترنح من أثر حمولته، وعيناه مصوّبتان إلى نقطة بعينها عند ركن فى آخر الحوش...

وضع الجثة وأخذ يلتقط أنفاسه بصعوبة....

تحرك مرة أخرى إلى غرفته تاركًا الجثة ليحضر أداة الحفر ومصباحًا بدائيًّا يعمل بالكيروسين "كلوب" أشعله وأخذ يحفر القبر...

لم يكن أمام محسن إلا قبر البنهاوى، فهو القبر الوحيد الذى يعرف تماما أنه مهجور منذ عشرات السنين؛ ولهذا اختاره والده لمهمته منذ أحد عشر عامًا....

أنهى محسن مهمته والنار تزداد فى صدره حول هذا النقش اللعين الذى ظهر فجأة، الليلة الماضية.

وقف لحظات أمام باب قبو الدفن الحديدى وهو يشعر بجسده يرتعد بشدة، فهو الآن يوشك على مواجهة أبشع كوابيسه على الإطلاق، حيث يرقد الرجل ذو الثياب السوداء.....

التقط أنفاسه سريعًا وهو يحاول التماسك بصعوبة بالغة قبل أن يهوى على الباب بأداة الحفر ليكسر ما حوله من أسمنت سُدَّت به الفجوات...

عدة ضربات سقط بعدها الباب..

خرجت رائحة عطنة كريهة من القبر، تحمل بين طياتها رائحة الموت المقززة..

المكان مظلم تمامًا، فالمصباح بالخارج...

مد يده ليلتقطه ويضعه أمام باب القبو، ثم سحب الجثة لتسقط على كتفه تمامًا، وألقى بها داخل القبر، فسمع صوت شيء يتهشم..

قرَّب المصباح فرأى أن الجثة وقعت تمامًا على بقايا عظام عرفها من آثار ثياب أسود، لم ولن يخطئه أبدًا... إنها عظام هذا الرجل الذى دفنه والده منذ سنوات...

ازداد ألمه من أثر الوخز الذى أصبح لا يحتمل، فقرّب المصباح وثنى عنقه لينظر إليه فيجده يتوهج بشدة كأنما نار تسرى فيه...

لم يكن التوقيت يسمح بالألم ولا الخطأ فعليه الآن أن يعيد كل شيء كما كان قبل بزوغ الفجر..

ألقى نظرة أخيرة على جثة فايزة المتكومة فوق الهيكل العظمى المحطم، وكاد يثبت الباب الحديدى، لكن بصره توقف فجأة عند جانب غرفة الدفن.

وجّه مصباح الكيروسين للحصول على ضوء مناسب لرؤية تلك الكومة السوداء.. إنها الصرة التى كان يحملها الرجل!!!

تردد للحظات قبل أن يدلف محنى الظهر، فحجرة الدفن منخفضة السقف.. تفادى جثة فايزة، التى خرجت أطرافها من المفرش البلاستيكى، وأمسك الصرة....

أغلق القبر بحرَفية تُربى وارث للمهنة، قبل أن يهيل كومة التراب فيسد الحفرة..

ساوى التربة جيدًا قبل أن يلقى أخيرًا نظرة رضا، ويحمل مصباحه وفأسه، والصرة، ويعود إلى قبره -أقصد مسكنه-..

الأرضية الإسمنتية سهّلت مهمته، حيث قام بغسلها بالماء ثم جمع فراشه ليغسله، فشعر بجسم صلب سرعان ما عرفه.. إنه المنجل -سلاح جريمته- فألقى به إلى ركن الحجرة بجوار الصرة وهو يعى تمامًا أن عليه التخلص منه فورًا، لكن هذه الدماء على الفراش أشد خطرًا الآن....

وقت قليل مرَّ قبل أن يقضى على آثار جريمته تمامًا، بعد غسل جسده بماء بارد يشبه الصقيع، لكنه لأول مرة يفقد الشعور بالألم، بل وبالندم...

إنه الآن طوى صفحة محسن الترَبى دارس القانون، وإلى الأبد..

هو أمام نفسه محسن القاتل، حتى وإن كان لا يعرف كيف قام بجريمته...

نظر فى المرآة القديمة، يتفحص صورته المهزوزة أمامه، وذلك النقش العجيب، وقد شعر كأن وجه الجدى فى قلب النجمة يبتسم ساخرًا ويقول: "ها أنت الآن ملكى تقبع تحت سيطرتى".

قواه تخور فيشعر بأن قدميه لم تعودا تحملانه، يحتاج جسده الآن لأن يلقى بنفسه إلى مصطبته الباردة، يحتاج للراحة..

نعاس شديد يداعب جفنيه، استسلم له دون أدنى مقاومة، لينام أخيرًا محسن الذى يعرفه، وإلى الأبد...

●●●

الفصل الثالث

دخان كثيف يجعل الرؤية مستحيلة داخل الغرفة الباردة..

ألم شديد فى صدر محسن كأن خنجرًا تلمًا يحفر هذه النجمة من جديد..

يضع محسن يده على صدره من الألم ويتحرك بصعوبة ليهرب من ذلك الدخان الذى كاد يخنقه، لكن الباب قد اختفى، لا شىء سوى أربعة جدران صماء..

فزع بلا حدود يجتاح جسده الذى انتفض بشدة كأنما أصابته صاعقة حالاً..

يصرخ محسن ويصرخ، ولكن دون فائدة.. يضرب موضع الباب بيديه فلا يجد سوى حائط سميك.. التفت خلفه ليجد أن شاهد القبر الذى يتوسط الحجرة، أحجاره تتساقط، والتربة من حوله تنهار لتصنع حفرة عميقة، وما هى سوى لحظات حتى شاهدها من بين الأدخنة المتصاعدة تخرج من القبر نصف عارية، وبقعة سوداء تتوسط نهديها، وهذا السائل الداكن ينساب من تلك النقطة السوداء...

إنها فايزة.. كانت تبتسم ابتسامة غريبة، إنها ابتسامة شيطانية، وهى تمد يدها اليسرى القابضة على جسم مرن عرفه مباشرة، إنها تحمل قلبها بين راحتيها وهى تقول بصوت يأتى من عالم آخر:

- هذا له، أعطِه إياه..

قال بصوت متحشرج وهو يلتصق بالجدار:

- أعطيه لِمَن؟؟ وما هذا؟؟

قالت بصوت يشبه الفحيح، صادر من مكان مجهول:

- لسيدك هو أحق به الآن...

كانت تقترب بشدة، ما دفعه للجرى من أمامها بسرعة إلى الركن الآخر من الغرفة، ليجد الصرة تخرج منها الأدخنة بكثافة. وقف أمامها وفكّه السفلى يكاد يلمس الأرض، والصرة تُفتَح ويخرج منها أبشع مخلوق ممكن أن يراودك فى كوابيسك..

وجه نحيل من العظام، فمه ممدود إلى الأمام، يخرج منه نابان طويلان، والزبد يقطر من بين شفتيه وعلى رأسه شعيرات قليلة، يخرج من بينها قرنان عظيمان.. عيناه كأنهما جمرتا نار مستعرتان، ظهره محنى قليلاً ويداه عظميتان فى آخرهما أصابع

عظمية طويلة، تنتهى بأظافر سوداء مقززة طويلة كأنها مخالب... كان المسخ الشيطانى يحمل بيده اليمنى منجلاً، ما زال يقطر دمًا ويرفعه إلى أعلى قبل أن يهوى به على صدر محسن فى الجهة اليسرى.. جهة القلب تمامًا، فتنطلق من بين شفتى محسن صرخة مدوية.....

●●●

ترددت أصداء صرخة محسن وهو ينتفض من نومه وجسده غارق تماما من العرق.. كابوس جديد ينضم للائحة كوابيسه، لكن هذا الكابوس أكثرها رعبًا؛ لقد أوشك على الموت المحقق..

مسح على عنقه وهو يشعر باختناق شديد، وهذه الظلمة تجتاح روحه تماما...

غسل وجهه سريعا، ونظر إلى مشاهد القبور كأنما يناجى الموتى، ولكن هذه المرة لم يشعر بالرجفة عندما وقع بصره على القبر المنشود...

لم يذهب إلى الجامعة ليومين متتاليين، فهذا لا يعنيه الآن؛ لقد تحول بين ليلة وضحاها إلى قاتل متمرّس فى الخلاص من دلائل جرمه....

تذكر المنجل، أداة الجريمة، فأسرع متجهًا إلى ركن الغرفة، باحثًا عنه، فهو آخر ما تبقى من جريمته..

وقعت عيناه على الصرة السوداء، فراوده للحظة كابوسه وذلك الدخان المتصاعد منها فى حلمه..

حقيقة الأمر، هو لم يعرف سببًا لاستخراج هذه الصرة من القبر.. ترى ماذا قد يجد فيها؟؟؟

ولِمَ الحيرة؟! فالأمر لن يستغرق ثوانى معدودة حتمًا..

حمل الصرة وجلس على مصطبته، وأخذ يتحسسها بحذر.. شىء ما بداخله يصرخ فيه بالإسراع فى فضها، فما يكاد يمد يده على عقدتها حتى يأتيه مُنادٍ آخر يحذره... حيرة بين صوتين يأتيانه من أعماقه، انتصر تطفله ففض الصرة...

كانت الصرة تحمل ملابس سوداء بدَت فى مظهرها كثياب الرجل المدفون، وحافظة نقود بها عدة أوراق نقدية، وورقة صفراء مطوّاة لعدة طبقات مهترئة... فكّر للحظة فى فض الورقة، لكنه تراجع عندما لمس جسمًا صلبًا مختفيًا داخل الملابس..

كانت أنفاسه تتلاحق وهو يخرج هذا الجسم من بين الملابس السوداء. لقد كان صندوقًا خشبيًّا يشبه ما يطلق عليه "الشكمجية" وله غطاء محكَم بمفتاح..

بحث بين الملابس عن مفتاح، لكنه لم يجد أثرًا له...

هز الصندوق ليعرف ما بداخله من صوته، فهاجس ما اجتاح عقله أن بالصندوق كنزًا حقيقيًّا؛ ولهذا أغلق بإحكام وصحبه الرجل فى رحلته إلى مثواه الأخير... جاءه صوت مكتوم من الداخل لم يستطع تبينه، تناول قطعة حديدية "مطرقة" وأخذ يعالج القفل حتى سمع صوتًا مكتومًا يخبره بفتح الصندوق...

فرك كفيه بحماسة قبل أن يرفع الغطاء و.....

ما رآه كان غريبًا بحق، جعل عينيه تقفزان داخل الصندوق..

كانت محتويات الصندوق عبارة عن كتاب قديم صغير، لا يتخطى عدد صفحاته الخمسين صفحة، ذى غلاف أسود سميك جدًّا وتحته رق مصنوع من جلد مدبوغ، له رائحة عطنة، لونه بنى غامق اقترب للأسود وعليه كتابة بلون قريب من لون الرق نفسه، نُقشت بخط سيئ طُمست فيه بعض الحروف...

حاول محسن جاهدًا قراءة ما كُتب فيها..

"أيها السيد العظيم ميططرون النائب عن السيد الأعظم بعلزبول ملك النور

هذا عقد من عبدك (الاسم مطموس) كتبته على جلد قربان بشرى من أجل أن يقبلنى سيدى عبدًا خاضعًا لسيدى مقابل أن يمنحنى القوة والحماية على أن يجمعنا الجحيم

فتقبل روحى خالصةً لك أيها الملك المعظم ميططرون.

توقيع بالاسم مطموس ... توقيع آخر بلغة غير مفهومة".

شعر محسن بقشعريرة تسرى فى جسده وهو يتحسس الرق الذى صنع من جلد بشرى، وهو يعيد قراءة هذا التنازل الشيطانى..

رجل يبيع نفسه للشيطان!!! أى مقابل يمكنه أن يأخذه ليفعل مثل هذه الفعلة؟!!

فكر قليلا وهو يضع الرق جانبًا..

ما الفارق بين مَن باع روحه للشيطان بعقد مكتوب، ومَن باع نفسه شفهيًّا وبلا مقابل؟؟

سمع محسن نداءً من عند الباب الحديدى الرئيسى انتزعه من أفكاره ومن صندوقه العجيب..

كان -كالعادة- شخصًا يخبره بفتح أحد المقابر استعدادًا لاستقبال ميت جديد يضاف إلى قائمة بلا نهاية من الموتى من حوله...

نفض عن رأسه كل أفكاره وحمل فأسه وشرع فى عمله الذى يتقنه تمامًا...

مرت ساعتان أو أكثر قليلاً قبل أن يزدحم الحوش بعشرات المشيّعين والمودعين لجثمان قريب أو صديق.. مشهد معتاد وعويل وصياح لا يلبث أن يتلاشى. فى بعض الأحيان يجد أخًا أو زوجة أو ابنًا يبكى بمرارة لفراق أحدهم حتى يكاد يطالبه بدفنه حيًّا مع جثة الميت، وسرعان ما ينتهى كل شىء فلا يعود أحدهم حتى للزيارة والترحم!!!

عجيبة هى الدنيا، وعجيب هو الإنسان، فلديه قدرة عظيمة على النسيان تجعله ينسى أقرب الناس إلى قلبه فى غضون أيام أو ساعات...

تابع محسن المشهد وهو يتفحص الملابس السوداء التى تلازمت مع الجنازات كطقس ثابت وهذه الوجوه المتجهمة...

وبالكاد يمنع ابتسامة ساخرة من أن ترتسم على شفتيه، بل وتصنع الحزن كأن الميت من لحمه ودمه، فهذا الأمر يزيد من النفحات...

مرت ساعة إلا الربع تقريبًا حتى عاد السكون يخيّم على الحوش تمامًا، قبل أن يسمع صوت جعفر التربى من عند الباب:

- يا بختك يا سيدى، جنازة حارة..

نظر إليه محسن ليلمح ابتسامة صفراء بلون أسنان صاحبها الأربعينى، ذى الجلباب الأبيض المصفر، الذى لم ترَ يده الغسيل منذ قرون، وصلعة لامعة تحت أشعة شمس الغروب...

فقال بفراغ صبر:

- عاوز إيه يا جعفر؟؟

اقترب منه جعفر وقال:

- جاى أتفرج يا أخى، ده أنا نسيت شكل الجنازات تقُلش الناس بطلت تموت..

- وبعدين؟!!

- ولا حاجة بس يعنى لو تسلفنى عشرة جنيه يبقى كتر خيرك وأهو الفاضى يكب على المليان يعنى...

نظر إليه محسن بازدراء قبل أن يناوله ما طلبه، فهو يعرف أن جعفر لن يبرح مكانه إلا بنوال مأربه..

- اتفضل ورينا بقى عرض كتافك..

تناول جعفر المبلغ وكاد ينصرف، إلا أنه تراجع وقال بخبث وعلى شفتيه ابتسامته الصفراء:

- إلا هى البت فايزة معدّتش عليك امبارح؟

احتقن وجه محسن وشعر برجفة فى أطرافه، حاول ألاّ تظهر فى صوته، الذى شعر ببحّته وهو يقول:

- وهى فايزة هتيجى هنا ليه؟!!

اتسعت شفتا جعفر بابتسامة خبيثة وهو يقول:

- يا راجل؟! بس الصراحة البت جامدة يا بختك...

قال محسن وقد فاض الكيل منه:

- جعفر، إنت هتهبّل، فايزة إيه دى اللى هبصلها..

ضحك جعفر بشدة وسعل مرتين وقال:

- آه صحيح، بأمارة ما كل يوم بتيجى عندك وتغيبه بالساعتين والتلاتة مع بعض لوحدكم... ولا أقولك تلقاك بتعلمها "ألف به"...

عقد محسن حاجبيه وقال بغضب:

- اتلم يا جعفر ويلا غور من هنا وبطل شغل النسوان اللى بتعمله..

اختفت الابتسامة من على وجه جعفر وقال:

- ماشى يا أستاذ يا بتاع الجامعة، بس أعرّفك حاجة قبل ما أغور... أنا شُفتها وهى جايالك أول امبارح بالليل، ومن ساعتها

والبت فص ملح وداب، وأمها عاملة مناحة، وأبوها وإخوتها قالبين الدنيا.. بس أنا عملت على العشرة ومرضتش أفتح بقى، بذمتك مش أستاهل مكافأة...

شعر محسن بالدماء تتدفق إلى رأسه وهو ينظر إلى جعفر بصلعته وأسنانه الصفراء، ورائحة التبغ تنساب من بين شفتيه، ونظرة شيطانية تطل من عينيه الخاليتين من الأهداب..

تساءل محسن: "هل هذا كل ما يملكه جعفر، أم هناك ما يدّخره لنفسه؟؟".

المسألة لا تحتمل المغامرة...

تنفس محسن بعمق وأراد أن تخرج كلماته هادئة رزينة وهو يقول:

- جعفر.. فيه حد غيرك يعرف الموضوع ده؟؟

فرد جعفر كفّه على صدره وهو يهز رأسه:

- عيب، هو أنا مرة...

تنهد محسن بارتياح قبل أن يقول:

- جعفر حبيبى، تعالَ نشرب شاى وأنا هظبطك..

ابتسم الأخير بارتياح وقد شعر بأنه نال مبتغاه أخيرًا، وحتمًا مكافأة ضخمة فى انتظاره بعد كوب من الشاى..

أشار محسن إليه بالجلوس على المصطبة الخارجية:

- ثوانى وأجيبلك الشاى...

ضحك جعفر وأشار بيديه علامة على الضخامة وهو يقول:

- أنا عاوز الشاى اللى يخلى الواحد يسكت وينسى...

رمقه محسن نظرة احتقار قبل أن يدخل إلى حجرته..

اعتدل جعفر وهو يخرج من جيبه نصف سيجارة وعود ثقاب، وأشعلها قبل أن يسعل بشدة..

مضت دقائق قبل أن يسمع صوت محسن يناديه:

- جعفر... تعالَ هنا من الصقعة دى...

ارتسمت ابتسامة زفر على شفتى جعفر وهو يدخل إلى الغرفة وعيناه على يساره حيث الفراش، وقال:

- هنا بقى كانت بتنام الفرَسة صح...

- أديك هتنام معاها حالاً...

لم يستطع جعفر أن يعى عبارة محسن، فقد جحظت عيناه فجأة وهو يرى المنجل مغروسًا فى قلبه مباشرة، والدماء تتدفق كشلال يخضب كفيه...

سحب محسن منجله قبل أن تصدر شهقة قوية من حلق جعفر فيتبعها بطعنة أخرى، وثالثة حتى تهاوى جثة هامدة تمامًا، وترك خلفه محسن يقف بوجه كأنه نحت من رخام بلا أى تعبير يُذكر، يقف كتمثال رومانى رسم بظله قرنين مميزين، إنهما قرنا الشيطان....

•••

انتهى محسن من دفن الجثة سريعا، فهذه المرة هو يعرف تمامًا ما عليه فعله فقد نزع جزءًا كبيرًا من جلد جعفر، يصلح ليكون رقعة للكتابة، واحتفظ بقنينة مُلئت دمًا، يستخدمها كمِداد...

اقترب محسن من الصندوق وتناول الكتاب الذى وجد أوراقه صفراء قاتمة، مكتوبًا بخط يد جذاب، باللونين الأسود والأحمر، بعد الغلاف وجد عنوانًا أثار الرعب فى قلبه "أقسام الملك ميططرون الاثنا عشر".

القسم الأول "أهيا براخيا أدوناى أصباؤوت أل شداى ألعالى على كل براخ".

لم يفهم محسن أيًّا من معانى هذه الكلمات، رغم أنها حروف عربية، لكن نازعًا داخليًّا جعله يستمر فى القراءة حتى وجد ضالته.. صحيفة كتب فى عنوانها "استحضار الملك ميططرون".

كان العنوان كافيًا ليفهم أنها تحتوى على الطريقة لاستخدام هذه الأقسام واستحضار نائب الشيطان الملقب بـ"ميططرون"..

استغرق محسن فى قراءة الصفحات الأخيرة من ذلك المخطوط الغريب، وهى تشرح كيفية الاستحضار باستخدام الأقسام (جمع قسَم بمعنى يمين أو حلف) ليشعر ببرودة وقشعريرة تضرب مؤخرة عموده الفقرى من هذه الطقوس المذكورة فى هذه الصحف القديمة.. لقد كان الأمر بشعًا بحق...

●●●

الفصل الرابع

شارع ضيق لا يكاد الضوء المنبعث من عمود الإنارة يبدد اليسير من ظلامه، بل أضفى على الشارع سبغة كئيبة..

الشارع هادئ ما عدا مواء متحشرج لقط ينتفض من البرد القارس، وبعض أصوات كلاب ضالة تأتى من مسافة بعيدة جدا...

وصوت كعب حذائها يصنع صخبًا بين هذا السكون..

أخذت تترنح يمينا ويسارا وهى تدندن بكلمات إحدى أغانى عبد المطلب "حبيتك وبحبك وهحبك على طول..".

كان صوتها متقطعًا، ورأسها يدور من آثار كمية كبيرة من الخمر الردىء قد اجترعتها الليلة فى سهرتها مع ثلاثة رجال..

غمغمت عند ذكر الرجال قائلةً:

- يخرب بيت الترامادول، كان زمانى قضيت مصلحتين كمان...

وانطلقت منها ضحكة خليعة ردد السكون صداها، ما جعلها تنتبه فتضع سبّابتها على شفتيها: "هس هتفضحينا يخرب بيت عقلك"..

عدلت من وضع ملابسها شبه العارية، ورفعت ثدييها بيدها كمَن تعيدهما إلى الوضع الصحيح منتصبين ككرتين متوسطتى الحجم تتقدمان خطواتها...

شعرت بحركة غريبة خلفها، فالتفتت بسرعة لتشاهد قطًّا يفرّ مسرعًا بمجرد التفاتها لتبتسم قائلةً:

- اللهم اخزيك يا شيطان...

استدارت مرة أخرى لتكمل طريقها، لكنها توقفت فجأة.. كان يقف أمامها مباشرة وفى عينيه نظرة عجيبة أثارت فى نفسها رعبًا بلا حدود...

أغمضت عينيها لحظة قبل أن تتمالك نفسها وتلوك علكتها، وتقول:

- خير اللهم اجعله خير...

- أنا عاوزك..

نظرت إليه متعجبة قبل أن تتفحصه بنظراتها.. شاب طويل، نحيل، ملابسه رثة. لم تستطع تبين ملامحه فى هذا الظلام قبل أن تقول:

- آسفة يا عينيه مش فاضية...

احتدَّت عبارته وقال صارمًا:

- لأ فاضية وهتيجى معايا..

أطلقت ضحكة عالية ساخرة وهى تظن أن شهوته قد بلغت مداها، قبل أن تصمت برهة، ونظراته الحادة تخترقها وهى تقول:

- مئتين جنيه الساعة...

أشار برأسه موافقًا وقال:

- موافق يلا بينا..

لم تتحرك من مكانها، وقالت:

- الدفع مقدم يا عسل..

نظر إليها باحتقار قبل أن يُخرج من جيبه ورقة بمئة جنيه، ناولها إياها وهو يقول:

- مية جنيه أهى، صدقينى مش هنطوّل..

ضحكت بمياعة وغمزته بعينيها وقالت:

- البطل سريع سريع ولا إيه...

قال ووجهه لم يتغير من ذلك الجمود:

- أسرع مما تتخيلى...

أنهى جملته وتحرك لتتبعه بهدوء، حتى انحرفا فى شارع جانبى ضيق، فنظرت إليه قائلة:

- هو المكان بعيد ولا إيه؟؟

- إنتِ مستعجلة؟

- لأ، أصل بعيد عنك لسه جاية من تلاتة، الله يهدّهم زى ما هدّونى...

نظر إليها بقرف واضح قبل أن يستأنف طريقه..

على بُعد عشرة أمتار، صندوق قمامة قد بعثرت محتوياته على الأرض، وتجمعت بعض القطط تنبش بحثًا عن طعام..

فتوقف فجأة، فنظرت إليه الفتاة متعجبة وقالت:

- إنت وقفت ليه هنا؟

استدار إليها فجأة وقال بصوت ساخر:

- خلاص وصلنا..

لفت عنقها تستكشف المكان الغريب قبل أن تصدر من حلقها شهقة مكتومة بعد وضع يده على فمها.. ويخرج سلاحه يلمع من الدماء من عنقها، الذى اجتزّه فى حركة مباغتة، لتسقط جثة هامدة وعيناها جاحظتان بشدة، وفمها مفتوح لآخره....

نظر حوله ليتأكد أن أحدًا لا يراه، قبل أن يغرس المنجل فى صدرها وهو يشقّه طوليًّا، ثم يمد يده بداخلها، فتظهر نظرة ارتياح وهو يخرجها مخضبة بالدماء حتى رسغه، وكفه قابضة على شىء ما...

لقد انتزع قلبها فأخرج من جيبه كيسًا بلاستيكيًّا أسود، وضع القلب بداخله ثم ألقى نظرة على جثة العاهرة، وانحنى ليستخرج من بين ملابسها ورقة مطوية، تأكد أنها المئة جنيه، وقال ساخرًا:

- مش قلتلك هخلص بسرعة...

بصق عليها وربت على الكيس فى يده كمَن يطمئن على محتواه، وانصرف تاركًا القطط الضالة التى أثارتها رائحة الدماء، تتجمع على الجثة...

●●●

لم يعرف محسن كم من الوقت قضاه نائمًا، فلأول مرة منذ فترة طويلة ينام بهذا العمق دون كوابيس، وكأنها هجرته فجأة...

كعادته، توجه إلى الصنبور لغسل وجهه، لكنه هذه المرة توجه فى البداية إلى خزانة من المعدن، صدئة، فتح أحد دلفها ومد يده يتحسس شيئًا ما، لترتسم على وجهه ابتسامة رضا..

تناول طعامه بشراهة....

بعدها أمسك بالكتاب العتيق وأخذ يقرأ فى صفحاته، وكلما ينتهى يُعيد الكرة مرة أخرى...

غابت شمس النهار ليسدل الليل ستائره دون أن يشعر محسن...

فرد طوله على فراشه وأغمض عينيه لساعتين أو يزيد، قبل أن ينهض مسرعًا كأنما تذكر موعدًا هامًّا فجأة..

من إحدى علب الصفيح القديمة بغرفته، أخرج قطعة من الجير، رسم بها على الأرض شكلاً كبير الحجم.. نجمة سداسية... نجمة يعقوب الشهيرة جدًّا..

بعد أن انتهى من خط المثلثين المتقاطعين اللذين يشكلان النجمة، توجه إلى الكتاب.. طالعَ بعض ورقاته قبل أن يخط عند كل رأس بعض الحروف بلغة مجهولة..

ألقى نظرة على الشكل أمامه ثم على إحدى صفحات الكتاب، لترتسم على شفتيه ابتسامة رضا وهو يستعد لاستقبال أخطر زائر فى حياته، بل فى التاريخ كله...

تذكر جملة خطَّت فى الكتاب، تقول: "اعلم يا طالب العلم أنه لا عودة مما اعتزمت العمل عليه فإذا عزمت فتوكل".

ابتسم ابتسامة خفيفة وهو يحدّث نفسه:

- لا عودة، حتمًا أنا أقبل...

ترددت فى الحجرة أصداء ضحكة شيطانية هزت ساكنى القبور...

●●●

على أطراف الشارع المؤدى إلى المقابر ارتفعت أكوام القمامة كتلال صغيرة..

فاقترب بثيابه السوداء الحالكة، وملامحه الجامدة، التى اختفت خلف غطاء رأسه الساقط فوق جبينه.. اقترب من طفل فى حدود الثانية عشرة من عمره، يرتدى "تى شيرت" باهت اللون بنصف كُم، رغم برودة الطقس. كان الطفل يرتعد بشدة من البرد وهو منكمش على نفسه..

اقترب من صاحب الملابس السوداء، ودفعه برفق ففتح الطفل عينيه الناعستين ووجهه الملطخ بالأقذار، وقال بصوت مرتجف:

- نعم، فيه حاجة؟

- إنت بردان؟؟

قالها المتشح بالسواد وبصوت منخفض، محاولاً رسم ابتسامة لطَمأنة الطفل المشرد..

فقال الطفل بغضب:

- إنت مصحيني عشان تسألنى السؤال المتخلف ده.. آه يا سيدى، بردان وجعان، اتوكل على اللّه بقى..

قال الرجل برفق:

- تعالَ معايا أديك هدوم تقيلة وأكل..

اعتدل الصبى وقد لمعت عيناه:

- صحيح والنبى يا عم..

هز الرجل رأسه موافقًا، وعلى شفتيه ابتسامة..

قبل أن ينطلق والطفل خلفه متعمقًا فى أحد الشوارع الفاصلة بين أحواش المقابر...

بعد مدة قال الطفل:

- يا عم إنت مودينى فين؟؟

نظر إليه الرجل بصمت قبل أن يستأنف المسير دون إجابة، ثم انحرف إلى شارع ضيق جدا، مظلم تمامًا، وما أن انتصف

الشارع حتى توقف الرجل فجأة، واستدار ليواجه الصبى الذى تسمّر فى مكانه، وقال وجسده كله يرتجف:

- إنت وقفت هنا ليه يا عم؟!

دون رد، اقترب منه الرجل ببطء، ومد يده إلى عنق الصبى يتحسسه، فصرخ الطفل:

- لأ، إنت بتفكر فى إيه، أنا مش منهم..

حاول الطفل التراجع لخطوة، قبل أن تقبض أصابع الرجل على عنقه وتضغط بشدة، ويده الأخرى تسد فمه وهو يرفعه لأعلى، والصبى يرفس بقدميه، وصوت أنّات مكتومة، ويد الغلام النحيلة تحاول فك أصابع الرجل قبل أن ترتخى بجانبه، ويستسلم تمامًا...

ألقى الرجل بجثة الطفل قبل أن يخرج من بين ملابسه شيئًا يلمع على بصيص ضوء خافت، مصدره أعمدة الإنارة البعيدة، فيتحسس سلاحه المعكوف، ثم يهوى به على صدر الغلام صانعًا فتحة طولية، فيمد يده وينتزع قلبه ويضعه فى كيسه الأسود...

وبهدوء يمضى مغادرًا، كأن شيئًا لم يكن...

●●●

بعد انتهاء المحاضرة التى لم يعِ منها محسن كلمة واحدة، جاءه ذلك الصوت الأنثوى الذى كان كفيلا فى يوم من الأيام أن يقتلعه من جذوره:

- أنا آسفة على اللى حصل المرة اللى فاتت...

نظر إلى ريهام بوجه جرانيتى وعيناه تبدوان كأنهما فقدتا أى بريق للحياة، وقال بصوت هادئ يشبه الفحيح:

- مفيش مشاكل، ولا يهمك، المهم إنتِ كويسة...

رغم غرابة طريقته وصوته العجيب، فإنها ضحكت وقد احمرّت وجنتاها وهى تقول:

- أنا بخير.. إنت اللى فيك حاجة غريبة!!!

أشار إلى نفسه بزهو:

- بالعكس، أنا فى أحسن حالاتى...

مطت شفتيها:

- يا رب دايمًا... المهم هه، لسه عند وعدك إنك تشرحلى القانون الجنائى؟؟

نظر إليها وقد التمعت عيناه وارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة:

- بس مش هينفع هنا...

صمتت برهة قبل أن تقول:

- عندك حق، إيه رأيك تيجى عندنا البيت؟

ظهر فى عينيه بريق، خُيل لريهام أنه ضوء كامل قبل أن يقول بلهجته الجافة:

- لكن أبوكِ؟؟؟؟

- متشغلش بالك، أنا هفهمه كل حاجة.. يلا أستناك الساعة سابعة كويس...

كان صوته عميقًا جدا وهو يقول:

- كويس قوى قوى...

انصرفت ريهام وهو يتابعها ببصره، وعيناه تحملان نفس النظرة المريبة كأن الشيطان يطل من عينيه ويبتسم...

●●●

دار الضابط "مختار" حول مكتبه وهو يعقد يديه خلف ظهره عدة مرات، قبل أن ينظر إلى مرؤوسه الملازم أول "علاء"، الجالس على مقعد يقابل مكتب الأول وهو يدخن سيجارته، محترمًا

استغراق مختار فى تفكير عميق، قبل أن يتحدث الأخير منهيًا فترة من التفكير العميق:

- لاحظ يا علاء إن الجثتين، الأولى بنت ليل والثانية كانت لطفل مشرّد.. يا ترى إيه الرابط بينهم..

فكر علاء قليلاً وقال:

- الواضح إن الاتنين خطر على المجتمع..

أشار إليه مختار بسبّابته:

- صح لكن إذا كان القاتل واللى هو أكيد شخص واحد حتمًا رغم اختلاف الطريقتين لكنه استخدم نفس الأسلوب فى سرقة قلب المقتولين، قصده تطهير مجتمعى مثلاً، طيب ليه بينزع قلب الضحية؟!!

حك علاء ذقنه قبل أن يقول:

- أنا شايف إن فيه نقطة مشتركة أهم بين الضحيتين..

نظر إليه مختار مستفهمًا، فى حين أردف علاء متممًا حديثه:

- الضحيتين ميهموش حد يعنى محدش هيسأل أو يزعل عليهم...

زامَ مختار طويلا وهو يحلل الرأى قبل أن يقول:

- وجهة نظر معقولة، لكن يفضل الدافع مجهول، ليه اختارهم القاتل بالشكل ده؟؟؟

- ممكن يكون لص أعضاء بشرية مثلا؟؟

- أنا فعلا جاتلى الفكرة دى لكن فيه مشكلتين، الأولى إن القلب بس هو اللى منزوع أما باقى الأعضاء سليمة، خاصةً الكلى والكبد والعيون... ثانيًا، الطريقة اللى فتح بيها القلب عشوائية جدا، لكن اللى بيقوموا عادةً بسرقة الأعضاء بيكون عندهم أفكار جراحية لا بأس بيها علشان يضمن سلامة العضو..

ساد الصمت للحظات قبل أن يقول علاء:

- هل سيادتك وضعت فكرة إنها ممكن تكون مسألة طقسية؟؟

نظر إليه مختار متعجبًا، وقال:

- يعنى إيه؟

- ديانة معينة مثلاً، ودا جزء من طقوسها...

أشاح مختار بوجهه قائلا:

- لا ده شىء مستبعد، خاصة فى مصر، حتى عبدة الشيطان فى التسعينيات مكانتش طقوسهم فيها القتل من أصله..

- يبقى مفيش إلا تصور واحد ناخده فى الاعتبار..

نظر إليه مختار باهتمام وهو يقول:

- إيه هو؟

- إننا أمام قاتل متسلسل..

جلس مختار على كرسيه وهو يداعب بعض الأوراق أمامه وقال:

- حتى ده مستبعد تماما..

- ليه يا فندم؟

- ببساطة، لأن الفكرة بعيدة عن مجتمعنا، آه جايز فى الغرب إنما هنا معتقدش.. وإذا فرضنا مجازًا قبول الفكرة، فى العادة، القاتل اللى بالشكل ده بيسيب وراه دليل علشان يدوّخنا وراه فيحس إنه أذكى من البوليس.. كمان دول أول جريمتين من نوعهم، رغم إنهم فى خلال ليلتين بس....

قال علاء:

- يبقى مفيش غير إننا نصبر ونشوف تحرياتنا هتقول إيه...

هز مختار رأسه موافقًا وهو لا يعلم أنه فى هذه القضية يواجه مجرمًا من نوع خاص... خاص جدًّا..

●●●

الساعة السابعة وعشر دقائق، سمعت ريهام جرس باب الشقة التى تقع فى بناية مرتفعة راقية..

دلف محسن إلى الشقة الفارهة.. أثاثها يدل على ثراء مالكها، وذوق يُعتد به ظهر فى اللوحات والتحف المنتشرة بنظام فنى راقٍ...

رحبت به ريهام قبل أن تدله على غرفة الصالون، التى لا تقل بَهرًا عن باقى الشقة..

- تشرب إيه؟

- شاى...

سألته بابتسامة مضيافة ودودة، فأجابها بشرود وعيناه تتابع تلك اللوحات التى بدت تنتمى لمدارس فنية مختلفة، كما شعر من ألوانها وتداخلاتها، فهو ليس خبيرًا فنيًّا، لكن هناك لوحات مثل الحصان الأبيض الذى يجرى فتتبعه أمواج البحر... لوحة واضحة، وأخرى عبارة عن تكتلات من الألوان متداخلة، لم يرَ فيها أى شكل يمكنه تمييزه...

وذلك الطفل الباكى بوجهه الطفولى البرىء، والذى وقف أمام صورته يتفحصه... كان هناك شىء فى اللوحة يخاطب جانبًا ما من نفسه، ربما فى الجانب المظلم لروحه...

- أنا كمان بعشق اللوحة دى..

انتزعته العبارة من تأمله ليجد والد ريهام الذى مد يده ليصافحه..

ذكرى قريبة كان محسن فيها يمد يده للرجل فلا يعيره انتباهًا، والآن الرجل يمد يده ليصافحه...

صافحه محسن وهو يشير إلى اللوحة قائلا:

- هل تعتقد أن عينى هذا الطفل بريئتان؟؟؟

ابتسم الرجل وقال:

- الكل بيقولوا كده، ولكن الأمر دائمًا بيرجع ليك إنت....

- لى أنا؟!!!!

خرجت الجملة تعجبية من بين شفتى محسن، إلا أن ضحكة الرجل الجذابة أعادته لتوازنه وهو يقول:

- مش إنت كشخص، لا.. كمُشاهد للوحة، يعنى ممكن أنا أشوفها نظرة حزن مكتوم بتعبر عنه الدموع، معاها نظرة حقد على المجتمع، أما واحد تانى فيشوفها براءة حزينة، وغيرنا ممكن يكون له رأى مختلف...

نظر إليه محسن بإعجاب قبل أن يعيد النظر إلى اللوحة ويقول:

- أنا شايف إنه مجرم، وإن النظرة فى عينيه خبيثة..

- هل تتخيل إن طفل زى ده ممكن يعمل زى ما إنت بتقول كده؟

أشار محسن براحتيه فى الهواء:

- أعتقد إن فيه ظروف معينة ممكن تقتل براءة طفل فى مهده..

مط والد ريهام شفتيه، علامة رفضه لمسار الحديث، الذى قرر إنهاءه فورًا:

- إنت متحامل على الولد زيادة عن اللزوم.. على العموم اعتبر البيت بيتك..

أنهى الرجل جملته وانصرف..

كاد، فى أثناء خروجه، يصطدم بريهام، التى حملت صينية الشاى وهى تبتسم قائلةً:

- الواضح إنك وبابا بقيتوا أصحاب.

هز رأسه موافقًا، قبل أن يتناول منها الشاى ويجلس على أحد المقاعد وهى تقول:

- بابا شخصية طيبة جدا وحبّوبة بس بيخاف علىّ موت...

هز رأسه دون رد وهو يرشُف رشفة من فنجانه..

- أنا عارفة إنك متضايق من المرة اللى فاتت بس هو كان فيه حاجة مؤثرة عليه شوية فمتزعلش..

هز رأسه موافقًا قبل أن ينظر إليها ويقول:

- إنتِ مرتبطة؟

كان السؤال مباغتًا لها، اختفت ابتسامتها وقد خالجها شعور غريب الآن بأنها محاولة للتقرب منها..

عندما دعته لم يكن الأمر بالنسبة لها يتخطى الزمالة والاستفادة منه فى إحدى مواد دراستها..

- مردّتيش..

انتزعتها كلمته من أفكارها فحاولت رسم ابتسامة تبدو ودودة على شفتيها، وقالت:

- ليه، عندك عريس لى؟؟

اتسمت ملامحه بالصرامة وهو يقول:

- أنا...

كاد فكّها السفلى يسقط أرضًا وهى تسمع عبارته وطريقته الغريبة. إن مَن يجلس أمامها الآن شخص غريب، ربما هو مجنون..

طرقات على الباب دلف بعدها شاب طويل أنيق، شعره أسود طويل صُفف إلى الخلف بعناية، عيناه سوداوان.. كان -باختصار- وسيمًا جدًّا...

شعرت ريهام بالارتياح بمجرد أن رأته، على عكس محسن الذى تجهم وجهه فجأة:

- ملازم أول علاء، ابن عمّى و..... خطيبى..

كالصاعقة سقطت الكلمات على رأس محسن وهو ينظر إلى علاء ووجهه مكفهر بشدة، متفحصًا ذلك الشاب ذا الجسد الرياضى والملابس الأنيقة الباهظة، تبعها بنظرة سريعة لملابسه الرثة..

- تشرفنا..

قالها محسن بصوت مبحوح وهو يرى منافسه أمامه قبل أن يستأذن بالرحيل..

دون اعتراض منهما خرج محسن وهو يشعر بذلك الشىء الأسود يلف روحه كاملةً.. هو الآن يحتاج للشيطان أكثر من أى وقت مضى..

●●●

الفصل الخامس

زقاق فى منطقة مهجورة، ممتلئ بالقمامة، وحالة استنفار أمنى شديد، وحاجز بشرى من الجنود يغلق مدخل الزقاق..

بالداخل كان مختار، ضابط المباحث، بزيه المدنى «جاكتة سوداء وقميص أبيض وسروال جينز أزرق»، هو متوسط الطول، مربع الصدر، ذو شاربين أسودين كثيفين تحت أنفه، عيناه ثاقبتان، من النوع الذى تخشى النظر إلى عينيه مطلقًا...

بجواره الملازم علاء بزيه العسكرى كاملاً ما عدا غطاء رأسه، فظهر شعره الأسود الطويل الذى يخالف ما تعارف عليه لدى العسكريين..

كانت العيون كلها تتركز على نقطة بعينها، عبارة عن جثة رجل عجوز قد يتخطى الستين عامًا، حولها بركة من الدماء المتجلطة، وعيناه الجاحظتان فى رعب واضح.. لكن أهم ما ميزه ذلك القَطع فى العُنق، لقد تعرض للذبح دون هوادة أو رحمة، لكن العجيب هو تلك الفجوة الطولية فى صدره...

نظر علاء لمختار قائلاً:

- القلب مرة أخرى!!!!

هز مختار رأسه موافقا وهو يحدث رجلا كان يقف عند نقطة بعيدة داخل الحاجز البشرى:

- إنت تعرف الراجل ده؟؟

اقترب الرجل بسرعة وقال بصوت متوتر:

- أيوة يا باشا، ده عم ربيع البقال..

نظر إليه مختار بنظرته الصارمة التى جعلت الرجل يبتلع لعابه بصعوبة:

- تعرفه منين؟؟

تلعثم الرجل وهو يقول:

- سيادتك المنطقة كلها تعرفه من زمن الزمن، هو صاحب الكشك بأول الشارع، وساكن فى بيت قديم كمان شارعين من هنا..

قال علاء للرجل:

- يعنى ده طريقه دايما؟؟

- آه يا باشا، هو بيقفل الكشك حوالى الساعة اتناشر بالليل ويروح..

قال مختار:

- وإنت لما لقيته مشفتش أى حد غريب قريب من هنا؟

فكر الرجل قليلا قبل أن يقول:

- الكذب خيبة يا باشا، مكنش فيه ولا صريخ ابن يومين فى المنطقة..

تبادل علاء ومختار النظرات قبل أن يصيح الرجل فجأة:

- فيه حاجة يا باشا نسيتها...

نظر إليه الاثنان باهتمام وهو يقول بسرعة كمَن يخشى أن ينسى:

- قبل ما أشوف عم ربيع، اللّٰه يرحمه، قابلت راجل شكله مش مريح كده..

قال مختار:

- مش مريح إزاى يعنى؟

- كان لابس لبس غريب كده، أسود فى أسود ومغطى رأسه..

أمسكه مختار من ذراعه بعصبية وهو يصيح:

- اوصف لى شكله..

تلعثم الرجل وهو يقول:

- ملامحه كانت مُختفية تحت البتاعة اللى حاططها على دماغه وكمان الدنيا كانت ضلمة.. بس كان ماسك فى إيده حاجة تقريبا كيس..

نظر كل من مختار وعلاء إلى بعضهما بعضًا، والحيرة تكاد تقتلهما فحتى الشاهد الوحيد عجز عن إعطائهما أى خيط قد يقودهما للمجرم جامع القلوب.....

●●●

أمسك محسن فى يديه علبة من الصفيح متوسطة الحجم، وهو يمد يده بداخلها ويخرج جسمًا رطبًا ويضعه جانبًا، ثم يخرج آخر أصغر حجمًا فيضعه بجواره، ثم ثالثًا ورابعًا، وعندما تناول الخامس ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة وهو يغمغم قائلا: - وحشتينى يا فايزة والله، بس إنتِ كده أفيَد كتير...

خمسة قلوب جمعها محسن من أجل إتمام تعويذته، كلّفته الكثير والكثير، فكل قلب يحضره يشعر بأنه فقد جزءًا من قلبه

هو... قلب محسن النقى أصبح الآن متحجرًا لا يعرف معنى البراءة ولا الطهر..نظر إلى النجمة السداسية والرموز الغريبة من حولها.. الطقس السحرى يحتاج إلى قرابين وليس أى قرابين بل قلوب بشرية، هكذا ذكر الكتاب وهكذا قرر أن يفعل ليحصل على مبتغاه.. إن كان قدَره رفض أن يكون لصالحه فليختَر هو طريقه.. هكذا فكَّر وهكذا تضخمت الفكرة فى رأسه..كل قلب جديد يحصل عليه هو تذكرة لدخول مرحلة أعمق فى الجحيم..خمسة قلوب جمعها من عمل يده، خمسة قلوب لا يربط بينها رابط سوى هدفه الأسمى ليكون العالم كله قربانًا لميططرون العظيم، ما دام سيحقق له حلمه..كانت عيناه غريبة الشكل، فنظراته غامضة جامدة تخلت عن أى شعور ممكن، فهو أصبح مسخًا لا يرى سوى حلمه... وشيطانه الذى سيحققه له.. لم تعد تشغله الأفكار البالية من حب وبغض، بل حتى الجنس والجوع لم يعد يعبأ بهما، فكل هذا سيأتى لاحقًا ما أن يتم مهمته....وضع القلوب المنزوعة من أجسادها فى علبتها.. من تحت فراشه أخرج ثيابًا سوداء ارتداها قبل أن يدسّ منجلاً صدئًا بين ملابسه، ويطوى كيسًا بلاستيكيًّا كبيرًا..كانت الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل عندما انطلق محسن بثيابه القاتمة يعبر الشارع الطويل الذى يقسم المقابر إلى شطرَين، عندما سمع صوت حركة غريبة صادرة من ركن مظلم..دقق النظر لتتفرج شفتاه عن ابتسامة

ظافرة، هاهى فريسته وبمنطقة قريبة، لن تكلفه عناء البحث عن ضحية مناسبة.. قلب سادس سيكمل النصف الأول من التعويذة.. تقدم فى هدوء من شاب نحيل وقف متكأً على باب حديدى لأحد أحواش المقابر، يأخذ زاوية تشكل ركنًا مظلمًا غير واضح للمارّة، وقد أمسك بيديه شيئًا رفيعًا عرفه محسن على الفور... حقنة. إنه أحد المدمنين يحقن نفسه بالمخدر!!!شخص مناسب، توقيت مناسب.. هكذا فكر محسن الذى اقترب أكثر وأكثر فنظر إليه الشاب بعينين نصف مفتوحتين وقد بدأ تأثير المخدر يضرب رأسه، وقبل أن يقاوم هذا التأثير كان رأسه يفارق عنقه.. إنها المرة الأولى التى يقطع فيها محسن رأس ضحية من ضحاياه، ولكنه لم يعبأ كثيرًا فالأمر أيسر وأسرع هكذا.. بهدوء الذى اعتاد الأمر، شق صدر الشاب ليقتلع قلبه من بين ضلوعه، ثم وضعه فى الكيس الأسود ليهرع مسرعًا إلى مسكنه على بُعد بضعة شوارع من هنا فى قلب المقابر مباشرةً، ليستعد اليوم للمقابلة الأولى من نوعها.. لقاء مع الشيطان نفسه..

●●●

- الحاجة الوحيدة اللى ممكن نعتبرها خيط هى أماكن الجرائم.. قال مختار هذا وهو يضع دائرة حول منطقة بالخريطة وهو يحدّث علاء، الذى ظل منتبهًا لرئيسه الذى أردف قائلاً:

- الجرائم الثلاثة كلها بالقرب من المنطقة دى، مع فروق مسافات بسيطة، ودا له معنى واحد بس..

- إن المجرم مكانه قريب جدا من المنطقة دى.. قالها علاء مكملاً لرئيسه الذى قال:

- بالضبط كده، وده بيسهل مأموريتنا علشان كده لازم نتخذ الإجراءات اللازمة هناك..

- تم يا فندم فعلاً، وتم توزيع مخبرين وأفراد بزى ملَكى فى المنطقة، وكمان كمائن فى كل المداخل والمخارج.. ابتسم مختار راضيًا وقال:

- أنا حاسس إننا قربنا قوى من المجرم ده.. فتح علاء شفتيه ليتحدث، لكن جرس هاتف مختار قاطعه.. وضع الأخير هاتفه على أذنه وصمت طويلا.. كان وجهه يشحب بشدة وهو يستمع لمحدّثه قبل أن يقول:

- عُلم يا فندم حاضر.. ويضع سماعة الهاتف... كان لونه شاحبًا كأنه جثة هامدة، فقال له علاء مستفسرًا:

- خير يا فندم فيه إيه؟!! نظر إليه وقال بشرود:

- الجثة الرابعة ظهرت، والقيادة قالبة الدنيا علينا.. قال علاء وقد انتقل إليه توتر رئيسه: - يبقى لازم نتحرك فى أسرع

وقت ممكن، المجرم مش بيضيع وقت.. هزّ مختار رأسه موافقًا وهو يغمغم قائلا:

- فعلاً، لازم وبسرعة... سادَ صمت على المكتب وهما لا يعرفان أن الأمر قد اتخذ منذ هذه اللحظة منحى آخر..

●●●

أمسك محسن برُقّ جاف، لونه بنى، وعصا مدببة لوّثها بدماء من خلال جرحٍ جرحه لنفسه فى رسغه، وكتب على الرق الجلدى، الذى استخلصه من جلد جعفر.. كان يكتب نفس الصيغة التى قرأها فى الرق القديم، واضعًا اسمه بدلاً من الاسم المطموس..انتهى من كتابة صيغة العقد قبل أن يفرده فى منتصف النجمة السداسية المرسومة على الأرض..أخرج القلوب من الصفيحة، ووضع قلبًا فى كل مثلث صغير من المثلثات المكونة للنجمة..تناول ست شمعات سوداء، ووضع كل واحدة فوق رمز من الرؤوس الستة للنجمة..أشعل الشموع وأطفأ الأنوار قبل أن يتناول مرة أخرى الرقعة، وجلس هو فى قلب النجمة واضعًا الرقعة على ساقيه اللتين ربّعهما قبل أن يمد راحتيه ويغمض عينيه بطريقة تشبه اليوجا..تمتم بكلمات غير مفهومة لوقت طويل، كان يبدو أنه حفظ التعويذات من الكتاب عن ظهر قلب تمامًا... مرت عشر دقائق أو يزيد قليلاً، ليشعر محسن أن الأرض تهتز

بشدة..فتح عينيه وهو يستند بيده على الأرض كأنه يشعر بأنه سيسقط قبل أن يتمالك نفسه ويبدأ فى التمتمة مرة أخرى... سمع فى الغرفة أصوات العشرات من الخطوات تهرع فى كل مكان مُسرعة، وصوت صيحات كأن المئات يتصايحون.. استمر فى تمتمته بكلمات التعويذة، وعيناه تتجهان ناحية الباب المغلق، لتجحظ عيناه فجأة، فهو يرى فايزة تدخل عبر الباب والدماء تسيل من الشق فى صدرها، لتقف أمامه مباشرة وهى تنظر إليه بعينين بلا سواد مطلقًا، فقط بيضاء ومن خلفها ظهر شبح يتحرك ببطء عرفه فورًا بجلبابه ونزيف صدره، إنه جعفر...كان الخوف بدأ يجتاحه بشدة رغم عيونهما البيضاء، لكن دماءهما ما زالت تقطر وهما ينظران إليه..وقف جعفر جانبًا ليمر عبر الباب الطفل ذو الاثنتى عشرة سنة، ويقف بجوار فايزة والدماء تنساب من الشق فى صدره، تبعته تلك العاهرة، ثم العجوز، وأخيرًا الشاب المدمن...سرَت قشعريرة فى جسد محسن، الذى كاد يتجمد رعبًا وهو يرى ضحاياه أمامه بدمائهم، وكان أكثر ما أرعب محسن، الشاب المدمن وهو يحمل رأسه بين كفيه وما زال عنقه ينزف كما هو الحال بالشق فى صدره..ارتفعت دقات قلبه حتى شعر بأن القاطنين بالمقابر جميعًا سيجتمعون على صوت هذه الدقات...هل هو كابوس من كوابيسه المعتادة؟؟لا... إنه متأكد تمامًا أنه بكامل وعيه...

كان الكتاب قد أخبره بأنه سيقابل أقوى مخاوفه، لكنه لم يتوقع أن تكون مخاوفه جثثًا تنزف...

حاول التماسك فبذل مجهودًا مضنيا ليكمل تعويذته التى لم يفهم منها حرفا واحدا، ورغم ذلك حفظها عن ظهر قلب...

تعالت الصيحات كأنها تخرج من أركان الغرفة..

ارتفع لهب الشموع حتى تجاوز المتر تقريبا، والشرر يتطاير منها، والجثث ما زالت ترمقه بنظراتها الميتة....

ريح قوية تجتاح الغرفة جعلت لهيب الشموع يتراقص بشدة قبل أن تنطفئ ويسود الظلام التام الحجرة..

شعر محسن بقلبه يسقط بين قدميه وهو يتخيل الجثث الست فى هذا الظلام الدامس عندما أضاء المكان فجأة.. كان مصدر الضوء ست شعلات من النيران، اشتعلت فجأة فى القلوب الموضوعة داخل النجمة...

إن قربانه قد قُبل الآن.. هذه هى اللحظة الحاسمة، إما أن يُنهى الأمر عند هذا الحد، وإما أن يتمّه.. هو يعرف تمامًا أنه يجب أن يتمّه وإلا فإن حياته ستكون الثمن..

نظر إلى باب الغرفة ليرى مشهدًا -جدٍّ- مرعبًا..

نيـران شـديدة لهـا ألسـنة خضـراء وزرقـاء، وظـلال لأشـخاص يهرعون بداخلها يمينًا ويسارًا كأنهم يفرون من النار إلى النار....

تشكلت بعض ألسنة هذا اللهيب المستعر فجأة إلى كفوف أيدى العشرات منها، فتمسك بالجثث الست الذين مدوا أيديهم كاستغاثة، وألسنة النيران تلقيهم فى وسطها تمامًا...

فجوة من الجحيم تقبع أمامه مباشرة.. أى فعلٍ قام به ليفتح أبواب الجحيم! هو الآن أسير فلا يمكنه العودة، فلا تراجع هنا، كما أنه يخشى الاستمرار بذلك الرعب الذى استقر بقلبه...

تماسك محسن وحاول جاهدًا أن يلتقط أنفاسه المتصاعدة وهو يشعر بحرارة ألسنة النار أمامه، وتلتقط أنفه رائحة الشواء من أثر تلك القلوب التى تلتهمها شعلات النيران...

مرَّ الوقت ثقيلاً، فالدقائق لا تنتهى، حتى هدأ فجأة كل شىء..

واختفت ألسنة اللهب..

أخرج من جيبه عود ثقاب، أشعله ليضىء من حوله قبل أن يقربه من إحدى الشموع، فتبدد بعض من الظلام الذى ساد الغرفة من حوله..

مرة أخرى، ارتفعت ألسنة اللهب من الشموع، ولكنها هذه المرة اجتمعت فوق رأسه كخيمة من النار. شعر بالحرارة تزداد من تلك النيران القريبة فوقه مباشرة قبل أن يرى الجدار المقابل له يتمدد كأنه مصنوع من الجلد المرن، ويميل نحوه فحانت منه حركة لا إرادية، تراجع خلالها للخلف، ليجد أن الجدار على يمينه يقترب ويقترب، والجدران الأربعة تضيق عليه..

شعر باختناق غريب وكأن روحه تفارق جسده.. بدا الأمر أنه يقترب من نهايته، إلا أنه فجأة تصاعدت أدخنة كثيفة قبل أن تنكشح فيظهر أمامه...

طويل القامة، نحيل، يرتدى ثيابًا سوداء كتلك التى لبسها الرجل قديمًا، وما يلبسه هو الآن فى أثناء اصطياد ضحاياه!!!! من بين أكمام الملابس ظهر كفان بشعان كأنهما خُلقتا من عظام، فى نهايتهما مخالب طويلة سوداء مقززة...

وقدمان عظميتان بأظافر سوداء كأنها من حديد..

كان المخلوق أمامه مثيرا لكل أنواع الفزع، والأكثر فزعًا أنه بلا وجه...

دقق محسن النظر تحت غطاء رأس الكائن أمامه، لكن مكان الوجه لا يوجد سوى ظلام....

خرَّ محسن على وجهه راكعًا وهو يقول فزعًا:

- السلام.. السلام

جاءه الصوت جافا يشبه حشرجة الموت وزئير ألف وحش، عاليًا كالرعد..

- لماذا طلبت الحضور؟

تلعثم محسن الذى شعر بأنه فى أكثر المواقف فانتازيا فهو يتحدث وجهًا لوجه الآن مع مخلوق وهمى كأكثر ما يكون الرعب وهو يقول:

- أهدى سيدى روحى طواعية..

مد يده بالرقعة المصنوعة من جلد جعفر المقتول للمارد الذى وقف أمامه فمد يده والتقطها..

كان محسن محنى الرأس خشوعًا واحترامًا لمالكه الجديد فها هو يبيع نفسه لأبشع مخلوق فى الدنيا.. للشيطان نفسه..

جاءه الصوت المتحشرج الراعد قائلا:

- أنت الآن ملك السيد وعليك الطاعة لسيدك..

هز محسن رأسه موافقًا قبل أن يقول:

- لقد كنت أريد أن يهبنى سيدى القوة والمال..

انطلقت ضحكة مجلجلة هزت أركان الحجرة كما شعر محسن بصداها بين جنباته..

- أى قوة وأى مال؟ ليس للعبد من مطالب سوى خدمة سيده...

شعر محسن بالغضب الشديد فهذا يعنى أنه باع نفسه بلا مقابل، لقد تعرض لعملية نصب احترافية خسر فيها روحه ذاتها فقال وقد نسى الفصحى التى نصحه الكتاب باستخدامها:

- يعنى إيه أنا جبتك عشان كده وعملت كل ده ببلاش؟؟!!!

جلجلت الضحكة مرة أخرى والمارد يقول له:

- أنت فعلت ما طُلب منك ليس ما أردته أنت فأنا مَن اختارك لا أنت مَن اخترنى، أنت ملك لى من البداية...

كان الغضب قد أعمى محسن فنسى أنه يتحدث مع الشيطان فقال بثورة:

- يبقى خلاص انسَ اتفاقنا...

ما أن أنهى عبارته حتى وجد نفسه يطير فى الهواء كأنه بلا وزن يُذكر، ليصطدم بالجدار فتدوى صرخات الألم من عظامه التى شعر بأنها تحطمت جميعًا...

شعر بقبضة قوية تقبض على عنقه فيستحيل وجهه إلى الأزرق مع نقص الأكسجين، لا أحد يمسكه ورغم ذلك هو مرفوع فى الهواء وقبضة تعتصر عنقه وصوت الشيطان المخيف كأنه يأتيه من داخل عقله...

- لا أحد يتراجع، ستلبى كل أوامرى حتى تموت فتلحق بى فى الجحيم..

منذ هذه اللحظة ستمتلك القوة فقط لتلبية ما آمرك به، يداك ستكون رغم مشيئتى...

رددت الحجرة صوت الضحكة الشيطانية متلازمًا مع صوت سقوط جسد محسن الذى التقط أنفاسه بصعوبة وهو يشعر بوجهه المحتقن، لقد أوشك على الموت اختناقًا...

استعاد توازنه وهو يشعر بالغضب والحزن والخوف.. مزيج غريب، فما مر به منذ لحظات شىء مريع حقا...

بالقرب منه لمح الرق الجلدى فأمسكه ليجد التوقيع الثانى قد وضع فى مكانه تمامًا، ولكن هذه المرة استطاع قراءته «الملك ميططرون ملك العالم السفلى».

أمسك الكتاب بسرعة وهو يشعر بالحنق عليه وهو يشعل عود ثقاب ليحرقه فهذا الكتاب هو السبب فيما وصل إليه الحال، لكنه ما أن قرب الثقاب من الكتاب حتى شعر بجمرة النار تشتعل فى جلد صدره، فرفع قميصه ليرى وهجًا أزرق يخرج من جلد صدره يرسم شكلا معروفا.. إنه نجمة الشيطان...

إنه يعى الآن أنه لم يعد حرًّا أبدًا، ويعى أن الشيطان كان قد اختاره منذ زمن دون أن يعرف هو.. هو الآن ملك للشيطان....

●●●

الفصل السادس

- الشيطان نفسه مش ممكن يعمل البشاعة دى..

قالها الضابط مختار بعصبية وهو يلقى بصورة ضوئية إلى الملازم علاء الجالس أمامه فيلتقطها..

طفلة فى عمر السابعة مذبوحة حتى كاد رأسها يُفصل عن عنقها، لكن الغريب والمقزز فى الصورة أنها كانت عارية تمامًا، وعلى بطنها حُفر نقش بأداة حادة، كان النقش عبارة عن نجمة خماسية رأسها الجانبى الأيسر يشير إلى فجوة مستديرة.. مكان القلب...

سرَت قشعريرة فى جسد علاء وهو يشاهد الصورة. كان المشهد مؤثرًا جدًّا..

تمالك علاء نفسه وقال:

- يا فندم، لازم نهدأ شوية عشان نفكر..

نظر إليه مختار بغضب:

- إنت مشبعتش تفكير يا سيادة الملازم فى مجرم مجنون ماشى فى الشارع بيذبح فى الناس معندوش أى رحمة وإحنا عاجزين قدامه...

توتر صوت علاء وهو يقول:

- إحنا عملنا كل اللى نقدر عليه ومفيش فايدة..

رمقه رئيسه بنظرة اخترقته وهو يقول:

- طول ما السفاح ده فى الشارع إحنا معملناش حاجة، إحنا قدام الناس فاشلين مش قادرين نحميهم... بص الجرايد كاتبة إيه..

ناوله جريدة مشهورة فقرأ علاء بصوت مرتفع: «الداخلية تترك السفاح طليقًا وتطارد الأطفال بتهمة الإرهاب».

- إيه الكلام المتخلف ده؟!!!

قالها علاء وهو يشعر بالغضب، إلا أن مختار مال عليه وقال:

- حقهم يقولوا أكتر من كده لما كل يوم يشوفوا صورة زى دى فى الجرايد والتليفزيون وإحنا بنتفرج يبقى حقهم...

- لكن إحنا مش ساكتين يا فندم، إحنا بنعمل اللى علينا وزيادة..

هدأ مختار قليلا وقال مخاطبا علاء:

- حط نفسك مكان أبو البنت دى وإحنا عاجزين نجيب حق بنته هيبقى رد فعلك إيه؟

تخيل علاء الموقف وصمت، فلم تكن عبارات الدنيا قادرة على التعبير عما يشعر به الآن...

●●●

بعض القش وفروع الشجر الجافة كافية للشعور بالدفء. هكذا جلس محسن أمام النار التى أشعلها للتدفئة، إلا أن شيئًا قد وضعه فوق هذه النار أثار دخانًا كثيفًا..

قطعة من اللحم المشوى فى مثل هذا البرد القارس مع التدفئة الناتجة عن نيران فروع الشجر الجافة لَهى المتعة بعينها...

لأيامٍ، محسن لم يذق طعم الغذاء بعد كل ما مر به من أحداث، إلا أن شيئا واحدا كان مصدر شهيته... رائحة الشواء التى اشتمها فى أثناء التعويذة وكانت ناتجة عن اشتعال النيران بقلوب ضحاياه... رائحة ما زالت عالقة فى أنفه..

هذه المرة سيتناول للمرة الأولى اللحم الطازج المشوى الذى ناله من فريسته الأخيرة..

لحم قلوب الأطفال ربما هو الأشهى له مع هذا الجوع الذى يعتصر معدته..

إن كان سيده يكتسب الحياة من أرواح البشر فتعطيه القوة، فلمَ لا يجتزئ له جزءًا من الضحايا.. القلب البشرى لغز الألغاز بالنسبة له!!!

حجرة من الجلد أو اللحم تنبض ليتدفق الدم منها إلى الجسد بأسره، وهى كذلك ربطت بين الحياة ومسبباتها فالحب نابع من القلب والبغض كذلك، وإذا شعر بالحزن يعتصر قلبه، والخوف ارتجف قلبه.. الرحمة من القلب وإذا قسى كان من القلب.. مضغة تزن كيلوجرامات قليلة تتسبب فى السعادة للبشر أو للتعاسة.. ترفع الإنسان إلى السماء بجنانها أو تلقى به فى حفرة بغيضة من الجحيم!!!!!

دار كل هذا بخلده وهو يتناول القلب الذى سوّاه على النار، وقضم قضمة هى الأولى..

إن كان سيحيا تابعًا للشيطان فليكن هو نفسه شيطانًا..

شعر بغثيان وهو يبتلع قضمته الأولى وما لبث أن أقنع عقله بلذة مفرطة فأخذ يلتهم قلب الفتاة الصغير بشراهة ونهم شديدين....

انتهى من تناول وجبته البشرية بلعق أصابعه قبل أن يسمع صوتًا يعرفه تماما:

- أنت الآن قد نجحت فى الاختبار الأول...

كان صوتًا خشنًا يشبه الفحيح لكن صداه هز كيانه بشدة، لينظر إلى مصدره فيجد الشيطان «ميططرون» يقف بنفس الهيئة التى قابله بها المرتين الأوليين، عندما استحضره هو، ثم عندما قاده لقتل الطفلة وشاهده وهو يمتص روحها أمامه فتخرج من فمها كأنها ذرات سوداء يستقبلها الشيطان بفيه الذى ظهر وقتها فقط.. كان بشعًا بلسانه المشقوق كالثعبان، ونابيه الأصفرين الطويلين..

إنه مسخ حقيقى..

محسن الآن يعرف مهمته جيدًا، إنه حاصد للأرواح التى يتغذى عليها سيده..

هذه المرة لم يرتجف محسن ولكنه قال كمن توقع حضوره، إلا أنه أحنى رأسه:

- أمرك يا سيدى..

ضحك الشيطان ضحكته التى تقتلع القلوب وهو يقول:

- عليك الآن أن تحصد الأرواح أكثر وأكثر....

- لكن الشرطة مش هتسيبنى أكيد قالبين الدنيا...

ظهرت من مكان عينى الشيطان فجوتان تشعان ببريق نارى، وصوته يزداد خشونة وقسوة:

- سيدك يستطيع أن يحمى تابعيه..

كان محسن بداخله يثق تماما أنه لا يستطيع الثقة فى شيطانه، لكنه مجبر تماما على الطاعة، كما أن طعم الشواء فى حلقه يثير لديه شهوة خاصة... خاصة جدا..

●●●

- مالك يا علاء ساكت كده مش عادتك؟؟

سألته ريهام وهى تنظر إلى وجهه الشاحب فالإجهاد واضح على معالمه..

كان شارد الذهن بشدة قبل أن يجيب وهو يطلق زفرة طويلة:

- أبدًا قضية بس شغلانى شوية..

غمزت بعينها وهى تقول:

- آه حضرة الظابط مشغول بالسفاح أكتر من حبيبته!؟؟

نظر إليها متعجبا وقال:

- عرفتِ إزاى موضوع السفاح ده؟

رفعت حاجبيها مندهشة وقالت:

- إنت مبتقراش جرايد ولا إيه يا سعادة البيه دول مش وراهم حاجة غير انتقل إلى موقع الحادث كل من فلان وفلان من المباحث وفلان من النيابة.. إلى آخره، وطبعًا اسم حبيبى منور...

كانت قد أمسكت بكفه فى هذه اللحظة فابتسم وهو يضغط على كفها الرقيق برفق قائلا:

- القضية دى مغلبانا قوى يا حبيبتى بس إن شاء الله هتتحل..

قالت له باهتمام:

- معرفتوش ليه رسم نجمة الشيطان على جسم البنت؟؟

تعجب للحظة قبل أن يتذكر أن بعض الجرائد قد نشرت صورة الضحية ولكنه التفت إليها وقد عقد حاجبيه قائلا:

- إنتِ قُلتِ نجمة إيه؟؟؟

تعجبت ريهام من سؤاله ولكنها هزت رأسها قائلة:

- النجمة الخماسية المشهورة، قرأت مرة على الإنترنت أنها رمز للشيطان..

صمت قليلا قبل أن يجذبها للجلوس على مقعد خشبى من تلك المنتشرة فى حدائق الجامعة وأخرج هاتفه النقال، نظرت إليه وقد بدأ الضيق يراودها فها هى مهنته تأخذه منها حتى عندما حضر ليصطحبها...

فى محرك البحث كتب «نجمة الشيطان»، وانتظر قليلا لتظهر عشرات الصور والموضوعات حول هذا الموضوع، فنظر إليها وقال:

- يا خبر أبيض كل دى مقالات وكتب عن النجمة؟!!

هزت رأسها موافقة..

- صباح الخير يا ريهام..

نظرت إلى الجهة الأخرى لتجد محسن يقف أمامها مباشرة، فرمقه علاء بنظرة نارية إلا أن محسن استقبلها بابتسامة ساخرة طلّت على شفتيه..

- أعتقد إحنا اتقابلنا قبل كده؟

عمل علاء الشرطى جعله ذا حافظة جيدة للوجوه، ولهذا تذكر وجه محسن الذى قابله منذ مدة قصيرة عند ريهام..

- لا، أنا مش فاكر..

كان أسلوب محسن كمَن يدير الدفة إلى مشاجرة، لكن ريهام تدخلت سريعًا بذكاء:

- محسن، إحنا كنا بنتكلم عن نجمة الشيطان تعرف عنها حاجة؟؟

كان السؤال مباغتًا، أفقد محسن توازنه للحظة وهو يبتلع ريقه بصعوبة، ما جعل علاء ينظر إليه بريبة..

إلا أن محسن قال محاولاً تخفيف توتره:

- إشمعنى يعنى الموضوع ده بالذات؟!!!

قال علاء بصرامة:

- إنت مسمعتش عن السفاح اللى بيرسمها على ضحاياه، إيه إنت فى كوكب تانى ولا إيه؟

جاءته العبارة ساخرة من فم علاء الذى وجدها فرصة لرد السخرية عليه، فى حين تدخلت ريهام وهى تمسك بذراع علاء قائلة:

- علاء هو الضابط اللى ماسك القضية.

قال محسن ساخرًا فى محاولة لتفادى توتره:

- ويا ترى وصلت لحاجة ولا كالعادة ضد مجهول؟؟

عقد علاء حاجبيه وقد بدا الغضب جليًّا قبل أن يقول بتحدٍّ:

- مصيره يقع وساعتها محدش هيرحمه..

استعد محسن للرحيل قبل أن يلتفت إلى علاء قائلا:

- أتمنى هو اللى يرحمك...

ألقى عبارته وسط ذهول ريهام وعلاء، الذى نظر إليها مستفهمًا:

- الولد ده مش طبيعى..

ضحكت محاولة التخفيف عن خطيبها:

- سيبك منه ده ولد غلبان.. المهم إنت ناوى على إيه؟

- فى إيه؟؟؟

قالت متعجبة:

- فى القضية!!!!

صمت وهو يفكر بعمق متسائلاً: ما الطريقة المُثلى لحل مثل هذا اللغز، خاصةً بعد معلومة النجمة الشيطانية؟؟؟؟

●●●

تجول علاء فى الشوارع المظلمة يتابع بنفسه المخبرين الذين انتشروا فى دائرة وقوع الحوادث قبل أن يقف على الطريق ناظرًا إلى المقابر الممتدة أمامه على مساحة شاسعة، والطرق التى تخللتها وبعض مصابيح متباعدة فى أحواش المقابر..

نظر علاء إلى أحد الأفراد بجواره وقال:

- هو فيه حد ساكن فى المقابر دى؟؟

أشار الرجل الريفى موافقا وهو يقول:

- ناس كتير مالهاش مثوى يا باشا غير مع الميتين..

رمقه علاء بنظرة صارمة قبل أن يصمت الرجل تماما. هو موقف محزن أن يشارك الأحياء الموتى فى قبورهم، لكن مهمته أمنية صرفة وليست لبحث اجتماعى يحلل الأسباب ويبحث عن حلول لهذه المشكلة الاجتماعية.. ما يشغله الآن أن مثل هذه المجتمعات العشوائية هى البيئة الأكثر ملاءمة لخروج طوائف المجرمين والخارجين عن القانون من لصوص وقتلة وحتى أصحاب الأفكار المتطرفة!!

نظر علاء إلى مخبره قائلا:

- روح إنت شوف شغلك وفتح عينيك كويس..

أدى الرجل التحية وانصرف، فى حين ألقى علاء نظرة أخيرة ورهبة غريبة تضرب روحه.. هل هى رهبة الموت، الذى امتلأت رئتاه برائحته؟ أم الخوف مما قد يكون مختفيًا بداخلها؟؟!

استدار علاء عائدًا إلى سيارته عندما أرهف سمعه فجأة.. صوت مكتوم يشبه الحشرجة..

سحب مسدسه من غمده المثبت تحت إبطه، وأسرع فى اتجاه طريق ضيق يقود إلى داخل المقابر، وعلى مقربة من منعطف مظلم هدأ من سرعته فأحكم قبضته على مسدسه وسار بحذر قبل أن يوجه سلاحه إلى داخل زقاق ضيق مظلم سوى من ظلال ضوء قادم من بعيد..

على هذا البصيص الخافت، لمح علاء شيئًا لامعًا يتحرك على الأرض فاقترب بحذر متتبعًا خيط السائل اللامع ليجد كومة لم يتبين كُنهها فى الظلام فاقترب أكثر ليتبينها حتى لم يعد يفصله عنها سوى خطوة واحدة، ليجد أمامه مباشرة جثة جديدة...

التفت خلفه بسرعة على صوت حشائش جافة تتهشم ليلمح ذلك الشبح الأسود يسرع..

- قف عندك..

صرخ علاء وهو يصوب مسدسه إلى هذا الشخص الذى يرتدى ملابس سوداء تخفى ملامحه، والذى سرعان ما اختفى فلم توقفه طلقة خرجت من فوهة مسدس علاء، الذى لم يكتفِ بها، بل انطلق مسرعا ليجد نفسه داخل زقاق آخر مقابل للزقاق الذى وجد به الجثة.. كان المكان أشد إظلاما من السابق فحاول تدقيق النظر من حوله وما أن استدار حتى وجده أمامه مباشرة وفى يمينه شىء لامع يقطر بسائل داكن..

وبسرعة البرق هوى المنجل الملوث بالدماء على اليد الممسكة بالمسدس، ولكن علاء سحب يده بسرعة فأصاب المنجل طرف المسدس ليسقط من يده....

رفع محسن، الذى استشعر الضعف فى خصمه بعد فقده سلاحه، منجله ليهوى على قلب علاء الذى انحنى جانبًا فضرب المنجل الهواء حتى كاد محسن يفقد توازنه، إلا أنه تماسك وهو يرفع منجله ليعيد هجومه وابتسامة ظافرة ارتسمت على شفتيه فى الظلام وهو يقول بصوت مبحوح:

- يا ترى طعم قلب الظابط أحلى ولا البنت الصغيرة...

تفادى علاء الضربة مرة أخرى قبل أن يكيل لكمة على فك محسن ليسقط أرضًا..

أشاح محسن بمنجله فى الهواء مانعًا أى محاولة للهجوم عليه، لينهض مرة أخرى ويضرب منجله قاصدًا قلب علاء الذى انحنى جانبًا، إلا أن صرخة ألم خرجت من شفتيه بعد أن أصاب المنجل يده بطرفه المدبب..

استغل محسن الموقف لصالحه وأسرع هاربا بعد اقتناعه أن معركته خاسرة مع هذا الجسد الرياضى القوى...

التقط علاء مسدسه بصعوبة وهو يضمد جرحه النازف، وأطلق رصاصتين بيد مرتجفة إلا أن محسن بملامحه المختفية على علاء كان قد ذاب فى الظلام تماما ليبدأ فصلاً جديدًا مع الشيطان...

●●●

تحسس محسن فكّه وهو ينظر إلى مرآته القديمة فتظهر كدمة موضع لكمة علاء له، وقد ارتسمت علامات الغضب على وجهه ممتزجة بآلام مبرحة فى فكه..

- ها هى فريستك الجديدة بين يديك الآن...

كان الشيطان يقف خلفه تماما، رغم أن المرآة لم تعكس صورته فإن محسن لم يتفاجأ بل نظر إليه قائلا:

- ده صعب قوى.. لكن مش هسيبه فيه حساب بينى وبينه.

ضحك الشيطان ضحكته المريعة قائلا:

- ليكن حسابك ولتكن لى روحه...

نظر إليه محسن مشمئزا وقال:

- علشان تطول روحه لازم تساعدنى...

- أنا معك هذه المرة..

وأطلق ضحكته المخيفة قبل أن يختفى تماما..

كان القلب قد نضج على مشعل صغير داخل إناء فأخرجه محسن ليقضم قضمة بتلذذ غير عابئ بدرجة الحرارة الملتهبة، وما أن لاكها حتى وضع يده على فكه مرة أخرى شاعرًا بالألم، ونظرة شيطانية تطل من عينيه بقوة متخيلا قلب علاء بين يديه فقضم قضمة كبيرة من القلب المطهى فى يده، لاكها بنشوة عارمة..

●●●

فى الزقاق وقف مختار وبجواره علاء الذى وضع ضمادة على جرحه..

كان مختار يتفحص المنطقة بعينيه قبل أن يلتفت إلى مساعده قائلا:

- بالشكل اللى إنت حكيته يا علاء معناه إن الشخص ده على دراية كبيرة بالمكان...

هز علاء رأسه موافقا وقال:

- أنا رأيى كان كده وفى الغالب هو من سكان المنطقة هنا أو قريب جدا منها..

حك مختار ذقنه بيده وقال:

- إحنا عاوزين حصر بكل اللى ساكنين المقابر هنا..

قال أمين شرطة وقف خلفهما متدخلا:

- ده صعب جدا يا فندم...

نظر إليه مختار متسائلا:

- ليه صعب، أكيد للناس اللى ساكنة هنا شهادات ميلاد وبطاقات شخصية مش عايشين فى عزلة يعنى!!!!

تلعثم الرجل قليلا وهو يوضح لرئيسه:

- يا فندم سكان المقابر مش بس الناس الفقراء لكن فيه كمان هاربين من أحكام ومسجلين خطر وبتوع مخدرات ودول

محدش يقدر يوصل لمخابئهم وهما دول اللى ممكن يكونوا بيرتكبوا الجرايم..

هنا تدخل علاء بعصبية:

- يعنى إيه نسيب المجرم كده ونقول أصل إحنا فشلنا...

توتر الأمين وقد تصبب وجهه عرقًا، فى حين ربت مختار على كتف علاء مهدئا إياه:

- الأمين بيتكلم صح، بس إحنا من دلوقتى هنعمل حصر بالسكان الأصليين وبعدين نشوف حل فى المسجلين دول...

أدى الأمين تحية لمختار وهو يقول بلهجة رسمية:

- أمرك يا فندم..

انصرف أمين الشرطة فالتفت مختار إلى علاء الذى عقد حاجبيه غاضبا:

- إنت روح النهارده ارتاح وأنا هتابع العملية وبكرة يحلها ألف حلال....

لم يرحِ هذا المطلب علاء كثيرًا، إلا أنه لم يناقشه وإنما أدى التحية لرئيسه وانصرف...

لم يكن الغضب الذى اعترى علاء مصدره هذا الجرح الغائر فى معصمه وتلك الوخزة التى تنتابه بين حين وآخر، وإنما ذلك القاتل الذى كان بين يديه وفشل فى الإمساك به، كما أن هناك أمرًا آخر حيره بشدة، رغم صوت المجرم الذى بدا أجشّ فإنه كان مصطنعًا، هو يعرف ذلك تمامًا ولكن الصوت نفسه كانت له ألفة غريبة على أذنه، لقد سمعه قبل ذلك!!!!! ولكن أين؟؟؟

●●●

منزل علاء شقة متوسطة المساحة، أثاث قديم من ذلك الطراز الأوروبى القديم..

بعض اللوحات معلقة على الحوائط بشكل يفتقر إلى قواعد الذوق الفنى فبدا الغرض جماليًّا أكثر منه فنيًا..

جلس علاء على أريكة من نفس طراز الأساس، ووضع على طاولة صغيرة حاسوبًا نقالاً من نوعية «hp" الشهيرة، خرج منه كابل طويل لتوصيل الجهاز بشبكة الإنترنت ويعالج مفاتيحه...

كانت منفضة السجائر أمامه تحتوى على كومة من أعقاب السجائر تدل على وقت طويل قضاه أمام حاسوبه يستعرض موضوعات بدت تجذبه بشدة إلى القراءة..

لم يكن قط من هذا النوع مدمن الإنترنت، فهو ليس من هواته بل كان يكنّ له عداوة خفية، خاصةً بعد اتهام شبكات التواصل الاجتماعى الشهيرة بالتسبب فى بعض المشكلات الاجتماعية والسياسية... إلا أن متطلبات العصر الحديث منعته من المقاطعة التامة للشبكة العنكبوتية....

لم يكن يتخيل يوما أن الإنترنت سيكون الحل الأمثل لمشكلة كمشكلته المتعلقة بكونه ضابط شرطة..

استغرق فى القراءة لفترة طويلة جدا وبجواره وضع قلمًا وأجندة صغيرة، أخذ يدون فيها بعض الملاحظات الهامة التى قد تفيده... عندما بدأ البحث كان هدفه معرفة ما قد يكون الدافع خلف جرائم القتل، ولكنه تفاجأ أن الموضوع -جدٍّ- متشعب جدا.

فتلك النجمة خماسية الرؤوس هى رمز صريح للشيطان، وإذا كان بداخلها صورة جدى أو كبش فهو الشيطان نفسه، أما رؤوسها فحسب عقيدة الويكا ترمز إلى الطبائع الخمس التى هى محور الكون، بحسب اعتقادهم، وهى "الماء- الهواء- النار- التراب- الفراغ"...

كان الأمر عسير الفهم على علاء بعقليته الشرطية الجامدة إلا أنه بمجهودٍ استطاع هضم الكثير من تلك المعلومات حتى

وجد هذه المعلومة، وهى بحسّه الأمنى أقرب إلى ما يقابله الآن.. فالنجمة الخماسية لها طابع خاص فى العقائد الشيطانية والسحر بأنواعه فهى ترمز إلى الشيطان وأعوانه، واتجاهاتها كالآتى:

١. ليموناى: هذه الحية التى كانت حارسة ابواب الجنة والتى سمحت لابليس بالعبور لاغواء ادم فانتقم منها الرب بأن انزلها على الارض فاعلنت العصيان.

٢. لورد بيليل: هذا اقوى من ابليس نفسه وهو اله الجهيم ويقال انه تعارك من اللّه فى اقدم معركة على التاريخ وقتله اللّه ورمى روحه فى جهنم وعندما اعلن ابليس العصيان على اللّه انشغل اللّه بطرد الشيطان ـ فانتهز بيليل الفرصة وهرب إلى الارض.

٣. لورد باثن: هذا من اخطر الشياطين فهو المسؤول عن السحر الاسود وهو يدعم عباد الشيطان على الارض بكل شيء يتمنوه لقاء الاضحيات البشرية.

٤. لوسفر: ويقال انه ابن ابليس الاكبر من ليليث.

٥. سيتان وهو الشيطان نفسه ويمثل طاقة الأرض فى معتقد الشيطانيون..

توقف علاء كثيرا أمام هذه المعلومات فمع مجتمع تنتشر فيه الخرافة والإيمان بالسحر والشعوذة، حتمًا ستجد مَن يبحث عن حلول بمساعدة الشيطان!!!

ما توصل إليه علاء هو خيط شديد الأهمية، فالأمر له علاقة بطريقة أو بأخرى بالشيطان وطقوسه الغامضة...

خَطَّ علاء ملحوظة أخيرة كتب خلالها هذه المعلومات التى توصل إليها قبل أن يرسم دائرة حول نقطة بعينها "لوردباثن أخطر الشياطين ومسؤول عن السحر الأسود ويذكر عنده قرابين وأضحيات بشرية".

أمسك علاء بهاتفه وطلب رقمًا للحظات، قبل أن تأتيه الإجابة..

- ألو، مساء الخير سيادة الرائد..

- مساء الخير يا علاء، إزيك دلوقتى؟؟

- الحمد لله أحسن لكن عندى معلومات خطيرة جدا لازم سيادتك تعرفها..

- يا بنى قُلتلك ارتاح برضه بتشتغل..

ضحك علاء وقال:

- معلش يا باشا سيادتك علمتنى كده..

ضحك مختار وقال:

- ماشى يا سيدى قول اللى عندك..

- لا أنا هلبس وآجى لحضرتك على المكتب، الموضوع عاوز قَعدة..

- تمام أنا فى انتظارك..

أنهى المكالمة وأسرع إلى حجرته يرتدى ملابسه و.....

●●●

لم يكن أحد بالمنزل سوى علاء الذى أسرع إلى غرفته لتغيير ملابسه واللحاق بموعده مع رئيسه لإطلاعه على ما توصل عليه...

كان باب الحجرة مفتوحا فما أن دلف علاء حتى سمع الباب يغلق بشدة..

التفت بسرعة إلى الباب قبل أن يبصق عليه مما سببه له من فزع.. إنه حتما تيار هواء قادم من إحدى النوافذ، ولكن.. مهلاً،

كل النوافذ مغلقة فالشتاء وصقيعه كفيلان بسد أى ثغرة يتسرب منها أى هواء بارد...

حدّث علاء نفسه بأنه فيما يبدو قد تأثر بما قرأه عن السحر والشياطين، ولكنه عندما التفت جحظت عيناه بشدة وهو ينظر إلى المصباح المجاور للفراش (أباجورة) فإضاءتها تزداد بشدة مع توتر شديد قبل أن تنفجر فجأة ليعم ظلام دامس سوى بصيص ضوء عبر شراعة الباب...

ربما ازدياد مفاجئ فى التيار، إلا أن أدخنة كثيفة تصاعدت فى الحجرة قبل أن تنقشع، ليظهر أمام عينيه اللتين كادتا تقفزان من محجريهما، أبشع كائن يمكنه تخيله..

لم يكن علاء من ذلك النوع الذى يمكنه أن يشعر بالخوف بسهولة، إلا أنه الآن يتحكم فى كل جوانحه...

أمامه مباشرة كان وجه عظمى ذو عينين مشقوقتين طوليًّا، تشعان لهيبًا قانى اللون..

شفتان مشقوقتان يخرج منهما نابان طويلان.. وعدة شعرات من الذقن مفرودتان لأسفل.. ويدان تمتدان إليه مخلبية.. رغم أن اليدين لم تلمساه فإنه شعر بقدميه لا تلمسان الأرض وقبضة فولاذية تقبض على عنقه بقوة، ويأتيه صوت أجش متحشرج شعر

بأنه يأتيه من أعماق عقله. لم يسمع الصوت بأذنه لكنه شيء ما يخبره بأن يترك ما توصل إليه، وأنه يواجه ما لا قبَل له به...

شحب وجهه بشدة وهو يشعر بالدماء لا تصل إلى مخه، وروحه كأنها تفارقه حتى إنه أغمض عينيه وقد بدأ يفقد الإحساس بما حوله قبل أن يسقط أرضًا فجأة..

شعر بعظامه تتحطم وهو يدلك عنقه محاولاً التقاط أنفاسه بصعوبة وهو ينظر إلى هذا الوحش أمامه، وعلى بُعد خطوات لمح مسدسه فقفز كالبرق يصوبه إلى الوحش أمامه ويطلق النار حتى أفرغ خزانته، إلا أن الشيطان وقف دون أن تهتز له شعرة وابتسامة مقززة ساخرة ترتسم على شفتيه المشقوقتين.. والمسدس يطير من يد محسن بعيدًا ثم يشعر بجسده يرتفع فى الهواء فيغمض عينيه وهو يشعر بعنقه كأن قبضة تعتصره.. فتح عينيه وروحه تفارق جنبيه ليرى وجه الشيطان قريبًا جدا منه، ورائحة أنفاسه الحارة كريهة جدا والصوت الذى يأتى من عقله يخبره بألا يفكر حتى، فإنه لن يستطيع إيقاف الشيطان...

مرة أخرى، سقط جسد علاء وما زالت رائحة الأنفاس الكريهة تعلق فى أنفه وهو يقاوم بشدة حتى لا يسقط فى غيبوبة بسبب الاختناق..

عـدة دقائـق قبـل أن يسـتطيع النهـوض ثانيـةً، والشـيطان قـد اختفـى تمامًـا، وعلـى الجـدار عـدة ثقـوب مـن تأثيـر الطلقـات التـى قـد أطلقهـا فمـرت مـن خـلال الشـيطان.

بصعوبـة بالغـة نطـق عـلاء اسـتعاذته، التـى رفضـت الخـروج كأن شـيئًا يجـذب لسـانه إلـى حلقـه، فلـم يسـتطع الـكلام طـوال حضـور الشـيطان...

بـدأ عقلـه أخيـرًا فـى الخـروج مـن حالـة الذعـر والذهـول ليفكـر فيمـا آلـت إليـه الأحـداث، فآخـر شـىء كان بحسـبانه أن تكـون المواجهـة مـع شـيطان الجـان....

●●●

الفصل السابع

ترنح محسن بشدة وهو يرى ريهام من بعيد محاولا الاقتراب منها عند أحد المقاعد إلا أنه فجأة وجد صعوبة فقدمه للحظات شعر بأنها لا تستجيب له فتبادر بحركات لا إرادية وسط ذلك الصداع الذى ظل ليومه الثانى على التوالى يشق رأسه إلى نصفين..

استغرق الأمر دقيقة أو اثنتين قبل أن يستعيد السيطرة على أطرافه مرة أخرى فيجر قدمه جرا حيث تجلس ريهام...

يشعر أن سيخا من حديد ساخن يخترق رأسه بشدة..

- إزيك يا محسن...

حاول الإجابة عليها لكنه لا إراديًّا أمسك برأسه يعتصرها بشدة، ما جعل ريهام تقفز من مجلسها وتقترب منه متسائلة فى اهتمام:

- مالك يا محسن...

- صداع هيموتنى..

خرجت عبارته وهو يجز على أسنانه فقالت بنبرة متعاطفة:

- يلا بينا نروح الوحدة الصحية اللى فى الجامعة..

- لا.. لا... مش لازم.. آه

خرجت منه أنّة الألم على الرغم من محاولاته فجذبته ريهام من ذراعه إلى الوحدة الصحية...

وقع الطبيب الكشف عليه قبل أن يحقنه بحقنة مسكنة للألم. استغرق الأمر عدة دقائق قبل أن يسكن ألم رأسه...

اقترب الطبيب من ريهام وقال:

- ممكن دقيقة من فضلك...

هزت رأسها موافقة وابتعدت مع الطبيب إلى ركن بالقرب من حجرة الكشف الصغيرة فقال الطبيب:

- لازم يعمل التحليل ده فورا...

ناولها ورقة صغيرة مع عبارته فنظرت إلى المكتوب، والذى لم تفهمه طبعًا، وقالت متعجبة:

- ليه هو عنده إيه؟؟

نظر إلى محسن الجالس بعيدا وقد استرخى على أحد المقاعد، وفجأة امتدت يده للأمام ثم سقطت بجواره قبل أن ترتعد قدمه كأنها تتشنج..

قال الطبيب:

- مش عارف بالتحديد لكن هو مش طبيعى، جايز يكون عنده نوع من الأنيميا فالتحليل هيفيد كتير..

- حاضر يا دكتور نعمله فى مستشفى الجامعة...

أشار الطبيب بيده رافضًا، وقال:

- يُفضَّل فى معمل خاص..

رغم أن محسن لا يعنيها كثيرا، فهو مجرد زميل، فإن شيئًا ما يجعلها تشعر بأنه فى موقف صعب....

خرجا من العيادة وهو ينظر إليها قائلا:

- الدكتور قالك إيه..

حاولت أن تكون ابتسامتها هادئة وهى تقول:

- عاوزك تعمل شوية تحاليل بسيطة كده..

نظر إليها متعجبا وكاد يرفض فإنه لا يمتلك المال اللازم، إلا أنها قاطعته قبل أن ينطق، قائلة:

- متشغلش بالك بأى حاجة... مش إحنا إخوات ولا إيه؟؟

نظر إليها بعينين رقيقتين، نظرة غاب منها الشيطان لتبدو ملامحه تذكرها بمحسن الغائب منذ مدة...

ما زال بقلبه موضع للحب!!!!

هى مفاجأة حقيقية له، فقاتل بلا رحمة يلتهم قلوب ضحاياه بلا هوادة، لم يكن يتخيل أن فى قلبه ذرة واحدة ما زالت إنسانية...

هز رأسه موافقا وقد ارتسمت بسمة ملتاعة.. لقد أراد فى هذه اللحظة بالذات أن يحتضنها بشدة ويصرخ فيها قائلا: "إنتِ حبيبتى ولستِ أختى"،

لكن هيهات، إن كان الأمر منذ فترة شبه مستحيل لفقره وعوَزه، فإن الأمر بات مستحيلا حقًّا الآن، هو نفسه لن يرضى لها أن تعشق حيوانًا مفترسًا يتغذى على قلوب بشرية، وخادم حقير ذليل لأحقر مخلوقات الكون وأكثرها شرًّا..

استسلم لها، لا لأنه يشعر بالإعياء الشديد، ولكن لأنه سيظل بصحبتها وقتًا أطول..

●●●

- يا سيادة الملازم، فشلك فى القبض على مجرم كان بين إيديك مش مبرر إطلاقًا إنك تبنى قصتك على خرافات...

قالها مختار بغضب وهو ينظر إلى علاء الذى عقد حاجبيه ويده خلف ظهره قبل أن يرد على رئيسه:

- يا فندم دى الحقيقة، والنجمة اللى مرسومة على الضحايا بتأكد كلامى، وحضرتك ممكن تشوف ده بنفسك على النت...

نفث مختار دخان سيجارتين بعصبية وقال:

- يعنى إنت بتحاول من أكتر من أربع ساعات تقنعنى إنى أروح الوزارة أقولهم إننا بنطارد عفريت محضّره ساحر وهما المفروض يصقفولى ويدونى نيشان صح!!!!!

بفراغ صبر حاول علاء إقناع رئيسه دون فائدة قبل أن يتذكر شيئًا هاما جدا قد غفل عنه فى إطار أحداثه الأخيرة، فنظر إلى مختار قائلا:

- يا فندم القاتل نفسه قال إنه بياكل القلوب اللى بينتزعها من الضحايا..

أطلق مختار من شفتيه صافرة طويلة قبل أن يقول ساخرًا:

- آه.. خلصنا من الجن والعفاريت طلعلنا آكلو لحوم بشر، ما هى ناقصة..

بدا الغضب جليًّا على ملامح علاء وهو يقول:

- يا فندم لازم تصدقنى...

هدأ مختار فجأة وهو يقترب من علاء ويناوله سيجارة ويشعلها له، ويشير له إلى مقعد فيجلسان متقابلين ويقول:

- فكرة أكل القلوب دى محاولة من القاتل علشان يخلى الخوف يشل تفكيرك والواضح إنه نجح...

صمت علاء وهو يستمع لرئيسه الذى أردف قائلا:

- رأيى يا علاء إن أعصابك تعبانة لازم تريحها إنت فى إجازة من دلوقتى أما القضية فأنا هكلف حد من زمايلك يكمل معايا.....

- يا فندم!!!!

أشار إليه مختار ليصمت، ويقول هو:

- ده أمر...

نظر علاء إلى رئيسه نظرة عجيبة قبل أن ينصرف وقد عقد العزم على أن يكمل المواجهة مهما كلفه الأمر، فالمواجهة لن تكون سهلة مع حاصد الأرواح.

●●●

رقد محسن على فراشه الخشن وهو يشعر بإعياء شديد وذلك الصداع يكاد يفتك برأسه..

- أحتاج إلى أرواح الآن..

جاءه الصوت المتحشرج من ذلك الرجل بلا ملامح الذى وقف أمامه مباشرة كأنه الرعد الهادر..

اعتدل محسن بصعوبة وهو يشعر بدوار شديد وقال:

- أنا مبقتش قادر أكمل، حرام عليك....

كان صوته مرهقا إلا أنه حمل الكثير من الغضب والثورة..

ضحك المارد بسخرية وقال:

- هل تظن أنك تستطيع؟

وقف محسن من مكانه فكاد يسقط مترنحا إلا أنه تماسك وحاول ألا يعكس صوته ذلك الضعف الذى أصاب مفاصله وقال:

- أيوة هقدر، ومن النهارده مش هشترك معاك...

جلجلت الضحكة الشيطانية فزلزلت أركان محسن كما فعلت فى جدران الغرفة، وقال: أنت لا تملك القرار، أنت الآن ملكى وحدى أنا فقط..

- يا أخى حرام عليك، نفسى أرجع إنسان، أنا نسيت إنى بنى آدم، أنا بقيت حيوان، بقيت نسخة منك، شيطان فى جسم بنى آدم..

كان محسن يصارع دمعات محبوسة بين حدقتيه حتى كادتا تنفجران، والشيطان يقول بغضب:

- أنت لست مثلى، هل تريد أن ترى....

اشتعلت النيران فى جسد الشيطان فجأة حتى ظن محسن أن الشيطان يحترق، ولكن النار تهدأ رويدًا رويدًا، ليجد محسن صورًا متداخلة تعكس كل ضحاياه كأن الشيطان يذكّره قبل أن تستقر صورته على مخلوق بشع تتصاعد الأدخنة من أنفه برائحة مقززة تشبه العطن، مختلط برائحة جثث متعفنة...

عينان طوليتان تشعان شررًا، وقرنان عظيمان يتوسطان شعرات قليلة...

ويدان ذات مخالب سوداء ذات بريق كأنها صُنعت من فولاذ..

كاد قلب محسن يقفز من مكانه وهو يرى أمامه هذا المسخ الفظيع، فهى المرة الأولى منذ عقده المشؤوم، التى يرى فيها وجه سيده الحقيقى، ويشم رائحة أنفاسه البخارية العفنة وهو يقرّب وجهه المفزع إلى وجه محسن، ويقول بصوت يشبه ألف زئير

وفحيح ممتزجين، لم يسمعه محسن بأذنيه وإنما شعر به يصدر من داخله:

- نفذ ما اتفقنا عليه وإلا قتلتها وأطعمتك قلبها.

كان التهديد واضحًا جليًّا، ريهام هى نقطة ضعفه، فالشيطان يقرأ أفكاره ويعرف أنه يحبها... حبها هو ما جعله يبدأ الأمر وهو ما جعله يفكر فى إنهائه، وها هو مرة أخرى يجعله ينحنى للشيطان ذليلاً مطيعًا، فهذه المرة لحمايتها هى...

ولم تمضِ دقائق حتى كان محسن يترنح فى طريق مظلم بملابسه السوداء، يبحث عن ضحية يقدمها لسيده البشع الذى شعر بأن ابتسامته الشنيعة تظهر فى الظلام..

صداع يضرب رأسه وحركات لا إرادية تصدر من أطرافه بين حين وآخر، والدوار الذى يضرب عقله فيفقده توازنه... عليه الآن أن يجد ضحية ضعيفة تناسب حالته فهو ليس بحال يسمح له بأى مقاومة تُذكر، كما أن الشرطة المنتشرة على مقربة من المقابر تصعّب هذه العملية....

عند أحد جدران المقابر لمح محسن جسدا متكومًا لم يتبينه فى الظلام، خاصةً مع الدوار الذى يضرب رأسه وعينيه، إلا أنه عرف أنه جسد بشرى..

ربما هو شخص ما يقضى حاجته أو مدمن يحقن نفسه بمخدر، أو من هؤلاء المشردين المنتشرين فى المقابر بحثًا عن مأوى بعيدًا عن أعين الشرطة...

كل ما يلزمه هو المفاجأة...

دار محسن حول السور القصير، وبصعوبة تسلق السور ليجد نفسه داخل حوش مقابر انطلق عبره ليقفز أعلى السور الذى جلس بجواره الشخص الذى رآه..

تسلل فوقه بحذر متناسيًا الصداع، ومحاولاً السيطرة على الحركات اللا إرادية الصادرة من عضلاته..

أخرج منجله وقفز على فريسته الذى وقف فجأة ليبدو شخصًا رياضيًّا قوى البنية..

كان الفخ الذى صنعه علاء محكمًا إلى حد كبير، إلا أن ملابس محسن السوداء جعلت رؤيته صعبة، ما سهّل عليه مهمة الانقضاض المفاجئ، لكن علاء بخبرته القتالية تخطى عامل المفاجأة بسرعة واستعد للقتال...

كانت المعركة خاسرة حتمًا من جهة محسن الذى يحفظ توازنه بالكاد مع تلك التشنجات..

الشـىء الوحيـد الـذى يمتلكه أن عنصـر المفاجـأة منـع عـلاء من إخراج سـلاحه..

فبـادر بضربـات عشـوائية بمنجلـه جعلـت عـلاء يتراجـع بضـع خطـوات قبـل أن يقفـز هـو متسـلقًا السـور الصغيـر...

حاول علاء اللحاق به لكنه كان قد اختفى...

شـىء وحيـد لاحظـه عـلاء هـذه المـرة.. أن القاتـل لـم يحـاول الانقضـاض عليـه بل فضّـل الهـرب، وأن القاتل كأنـه ثمل يترنـح....

كانـت فكـرة عـلاء، التـى اتخذهـا خطـة شـخصية لـه دون علم قائـده، كادت تنجـح لـولا عنصـر المفاجـأة الـذى كاد يكلفـه حياتـه...

تذكـر عـلاء فجـأة أن مهمتـه مـا كانـت لتصبـح سـهلة وهـو يواجـه الشيطان...

●●●

– ممكـن نروح مشـوار بسـرعة؟؟

قالـت ريهـام هـذا وهـى تتـودد لعـلاء، الـذى بـدا وجهـه عابسًـا قبـل أن يقـول لهـا:

– هنروح فين؟

- مشوار صغير كده لحد معمل التحاليل..

نظر إليها متعجبا وقال:

- خير، إنتِ تعبانة ولا حاجة؟

ضحكت بدلال وهى تقول:

- إنت خايف علىَّ ولا إيه؟!!

عقد حاجبيه غاضبًا وقال:

- أمال أخاف على مين يعنى؟!

- افتكرتك مشغول بالسفاح أكتر منى..

قال وهو يشرد بذهنه بعيدًا:

- الموضوع ده فعلاً شاغلنى يا ريهام...

ثم التفت إليها وقال باهتمام اكتست به ملامحه فجأة، وعلى وجهه ابتسامة ربما اختفت خلال الأيام القليلة الماضية:

- بس طبعًا مش عنك..

احمرَّت وجنتاها خجلاً، وأشاحت بوجهها قبل أن يردف قائلا:

- إحنا رايحين المعمل ليه بقى؟

- هنجيب تحليل لواحد زميلى كان تعبان شوية...

أشار برأسه موافقًا وهو يدير عجلة قيادة السيارة متجهًا إلى المعمل..

توقف علاء أمام إحدى البنايات القديمة ذات الطابع السبعينياتى، وقد لمح لافتة كبيرة تحمل اسم المعمل...

صعدت ريهام بمفردها لتغيب عشر دقائق قبل أن تظهر أمام البناية ووجهها شاحب..

فتحت باب السيارة ودلفت إليها فنظر إليها علاء متسائلا:

- إيه خير...

مطت شفتيها وهى تقول:

- مش عارفة؟؟؟ بس فى المعمل قالولى حاجة غريبة قوى!!!!

بدا الاهتمام على وجه علاء وهو يسألها:

- قالوا إيه يخليكِ تقلقى كده؟

- زميلى اللى جبتله التحليل عنده مرض خطير نادر جدا أول مرة يظهر فى مصر...

رفع حاجبيه مندهشًا وقال بتوتر:

- مُعدى؟

- ماقالوش إنه مُعدى لكن أنا صعبان علىَّ..

قال وهو يتحرك بالسيارة مُنهيًا الحديث:

- ربنا يشفيه..

لم يعلم أن أمنيته لم تكن فى موضعها مطلقًا...

●●●

وقف محسن ذليلاً مدلدل الرأس أمام الشيطان الذى وقف بصورته الحقيقية..

- صدقنى أنا تعبان والضابط ده عطل العملية كلها...

كان صوت محسن متوسلاً وهو يحدّث سيده..

لكنه ما أن أتم عبارته حتى وجد جسده يطير فى الهواء فيصطدم بالجدار على بُعد مترات..

كانت ملامحه تدل على الألم وهو يحاول النهوض مرة أخرى وصوت الشيطان الغاضب كأنه الرعد يصم أذنه:

- لا أعذارَ هل فهمت..

نفض محسن ملابسه المتسخة أصلاً، وقد شعر بحركة لا إرادية فى كتفه اليسرى قبل أن يقول بصوت متهدج، حاول أن يكون قويًّا:

- أنا مش عارف إيه شرهك للأرواح، إنت مبتشبعش من الموت؟ كفاية بقى أنا نسيت إنى حى..

جلجل الشيطان ضحكة كفحيح أفعى عملاقة وهو يقول:

- أنت مَن طلبتنى وإن كان بإيعاز منى فعليك بطاعتى فروحك نفسها ملكى...

رأى محسن رقعة تطير فتصدمه، أمسكها ليجدها العقد الموقع بينه وبين الشيطان..

حاول محسن تناول قداحة من جيبه؛ لقد جال بخاطره إن كان هذا هو عقده الملزم فليحرقه ليتخلص منه...

دوت فى الحجرة الضحكة الشيطانية مجلجلة وذراعه لا تتحرك كأن بها شللاً، وصوت الشيطان يشبه الزمجرة:

- لا تحاول، فعقد الشيطان لا يُلغى إلا بالموت.. حتى الموت لا يمنعه فستكون معى فى قاع الجحيم..

مرة أخرى طار محسن فى الهواء ليسقط على بُعد خطوات فيشعر بعظامه تتهشم بقوة..

علم محسن الآن أنه أسير لمخلوق لا يعرف للرحمة أى معنى.. ما أن يقضى عليه حتى يبحث عن عبد آخر..

شىء ما راود عقل محسن من ذكرى بعيدة قبل أعوام وأعوام..

لم يعرف محسن لماذا راودته هذه الذكرى الآن وهو فى هذا الموقف الصعب والشيطان ببشاعته يقف أمامه مباشرة!!!!

لحظة دخول الرجل، الذى يرتدى الأسود، القبر بقدميه ليُدفن حيًّا!!!

ما لا شك فيه أن الرجل كان حاصد أرواح، لكن يبقى السؤال: لماذا اختار لنفسه هذه النهاية المفجعة؟؟!!! إن لديه أسبابه بلا شك..

رمقه الشيطان بنظرته النارية منتظرًا ردة فعل محسن، الذى أحنى رأسه موافقًا على مطالب سيده، الذى ابتسم ابتسامة أشعرته بالغثيان قبل أن يختفى من أمامه..

زفر محسن بشدة، وأنّة ألم تخرج من بين ضلوعه المحطمة..

اتكأ على الجدار ووقف بصعوبة وهو صريع بين آلام عظامه وصداع رأسه وأطرافه تستجيب له بعد عناء..

جلس على فراشه وعيناه تغرورقان بالدموع فأى جحيم ألقى بنفسه فيه؟؟!

لا أحد يمكنه أن يتحمل اللوم سوى نفسه التى باعها لأكثر المخلوقات شرًّا وبشاعة، بيده تحول إلى وحش يتلذذ بمضغ قلوب ضحاياه...

شىء واحد -بقدر ما- يسعده لأنه يخبره بأنه ما زال إنسانًا، إلا أنه يسبب لديه صراعًا داخليًّا جعله يواجه الشيطان حتى وإن هزمه الأخير... الحب لعنته الحقيقية...

انهمرت دموع الحزن ممتزجة بآلام جسده ورأسه، التى استحالت إلى مطارق ثقيلة تزيد ضرباتها كل لحظة عما سبقها...

من بين الدموع لمح شيئًا كان قد نسيه تمامًا، بل لم يثِر اهتمامه من قبل، إنها حافظة حاصد الأرواح المدفون.. كان كل ما يشغله فيها وقتها هو الأوراق النقدية...

بخطوات متعثرة التقط المحفظة قبل أن يجلس مرة أخرى فى موضعه ليفضّها ويخرج شيئا وحيدا تركه بداخلها.. إنها الورقة المطواة عدة طبقات، التى كادت تتمزق بمجرد لمسها. برفق فتحها وكانت المفاجأة...

●●●

غرفة ريهام جلست أمام حاسوبها وقد جحظت عيناها بشدة من هول ما قرأته...

كانت منذ إحضارها نتيجة التحليل الخاص بمحسن لم تزَل تعيد كلمة واحدة على نفسها "كورو"..

مرض خطير نادر جدا، شبه منقرض، هكذا أخبرها أخصائى التحاليل فى المعمل..

الاسم غريب على أذنها، وهذا طبيعى؛ لأن هذا المرض لم يتم اكتشافه فى مصر...

كان الموضوع مثيرًا لها تماما كما أن محسن نفسه يسبب لها لغزًا....

دققت النظر فى الشاشة أمامها وهى مذهولة جدا، فما كانت تقرؤه غريب بحق، فقرأت بصوت مرتفع المعلومات المكتوبة أمامها عبر شبكة الإنترنت:

"مرض كورو (بالإنجليزية: kuru) مرض تدريجى فى الجهاز العصبى المركزى الذى هو نوع من التهاب الدماغ الإسفنجى المُعدى، موجود فى البشر، يتسم بتزايد انعدام التناسق الحركى، ويصل إلى حد الشلل والوفاة فى غضون سنة من ظهور الأعراض، يُعتقد أنه ينتقل عن طريق آكل لحوم البشر، خاصةً عندما يأكلون

الدماغ، حيث إن جسيمات البريون تتركز بشكل خاص. المرض اختفى تقريبًا عندما تم التخلى عن أكل لحوم البشر. كورو مرض غير قابل للشفاء ومن اضطرابات الجهاز العصبى. ومن المعروف عن هذا الوباء أنه انتشر فى بابوا غينيا الجديدة فى منتصف القرن العشرين".

حاولت ريهام أن تتذكر حالة محسن وتقارنها بتلك الأعراض التى عُرضت أمامها..

"فهو يتميز بترنح، وصداع، وآلام فى المفاصل واهتزاز للأطراف، على أن تبدأ المرحلة السريرية الدائمة فى المتوسط ١٢ شهرًا. الرجفة موجودة تقريبًا فى جميع المرضى الذين يعانون من مرض التهاب الدماغ الإسفنجى. انعدام التناسق الحركى ويصل إلى حد الشلل إذا توافر بنسبة ٣٠٪، وكذلك التأثيرات العصبية التى تؤدى فى النهاية إلى الموت".

رغم أن عقلها وجد صعوبة فى تصديق الأمر فإنها تذكر جيدًا تلك الحركات اللا إرادية والترنح الذى بدا جليًّا على محسن كما أن التحليل يثبت هذا..

أغمضت عينيها وهى تتراجع على مقعدها فتتخيل فم محسن الملطخ بالدماء وهو ينهش فى جثة بشرية تخرج أحشاؤها أمامه...

مشهد مقزز..

نفضت الفكرة عن رأسها في محاولة فاشلة وهي ينتابها شعور بالغثيان والخوف...

●●●

- سيادتك بتصرفاتك دي بتعرض نفسك والمهمة للخطر..

كان مختار شديد العصبية وهو ينهر علاء الذي طأطأ رأسه خجلاً، فهو للمرة الثانية على التوالي يفشل في القبض على المجرم، غير أن هذه المرة كانت محاولة شخصية دون علم رئيسه الذي أبعده عن القضية تماما..

انتهى مختار من حديثه العصبي قبل أن يزفر بشدة، ويرمق علاء بنظرة صارمة، سرعان ما اختفت وهو يردف قائلا:

- لمصلحتنا جميعًا أن تبتعد الآن يا علاء، فأنت فعليًّا في موقف لا تُحسد عليه، فمن ناحية عرّضت نفسك لمواجهة شخصية مع مجرم مختل، ومن ناحية أخرى القيادة ثائرة عليك..

نظر إليه علاء نظرة ذات معنى وهو يقف أمام رئيسه الذي يكاد يبلغه رسالة بدأ يستوعبها إلا أن رئيسه أردف قائلا:

- يؤسفني أن أطلب منك القيام بإجازة إجبارية منذ هذه اللحظة وحتى انتهاء التحقيق..

لم يجد علاء ما يجيب به على مختار، ولكنه كان فى عقله يتمنى خلال هذه القضية لو لم يكن ضابطًا مقيدًا بالروتين والأوامر، وها هى الفرصة سانحة أمامه ليحوّل مجرى الأحداث..

●●●

الفصل الثامن

منذ اللحظة الأولى لآدم، والشيطان يكيد له كيدًا ليلقى به بين براثن الجحيم..

إلا أن الشيطان لم يكن ليفعل ذلك دون مساعدة من آدم نفسه ممثلاً فى أبنائه وشهواتهم وأطماعهم..

لم يكن محسن يومًا يهوى الفلسفة والكلام المنمَّق الجذاب، إلا أن ما قرأه كان عجيبًا فى هذه الورقة متوسطة الحجم، المتهالكة..

منذ بدء الأحداث كان لديه حلم واحد، أن يقابل هذا الرجل الذى دفنه والده ليسأله: ما الشىء البشع الذى جعلك تدفع مقابله دفنك حيًّا؟؟؟

وهذه الورقة التى أهملها منذ مدة كانت تحمل بين طياتها هذه المقابلة..

فهو الآن يجلس أمام «جمال الدين محمد محمود القاضى» أو جمال القاضى الطبيب..

هكذا بدأ السطر الأول يعرف الرجل بنفسه، فهو طبيب مغمور، ورغم سنوات عمره الأربعين ما زال لا يملك سوى عيادة

فى إحدى القرى، لا يكاد دخله يسد رمق أسرته الصغيرة؛ لهذا باع روحه للشيطان بعد أن عرف هذه الغانية زوجة أحد كبار القرية، فكانت تأتى إلى عيادته فيذوبان فى نشوة لا تنتهى.. خان زوجته الجميلة الطيبة الحنون، وأهملها كما أهمل ابنته ذات الخمسة عشر عامًا، فإذا به ذات يوم يكتشف أن تلك العاهرة التى عشقها على امرأته تخونه، فما كان منه إلا أن قتلها... وزيادة فى ازدرائها، فعل فيها ما يفعله العشاق.. ولكن الأمر تحول إلى مرض شاذ، فالجنس مع الموتى لاقى فى نفسه جزءًا ما من نشوة افتقدها فى حياته المليئة بالفقر والذل.. يؤكد فى ورقته أنه وجد متعة فى جماع عشيقته الميتة أكثر مما لاقاه معها فى حياتها، وحتى مع زوجته المسكينة...

دون أن يشعر دخل شباك الشيطان فنجح فى التخلص من الجثة عبر دفنها فى قبور القرية ليلةً، فعلى حين غفلة من أهلها حفر قبرا من التراب لدفن جثته لكنه وجد كيسا بلاستيكيا به الكتاب..

إنه كتاب «ميططرون»، ومن هنا شعر بأنه وجد ضالته فيما يريد، فصار يقتل الضحايا وكلهن إناث لكى يقوم بهوايته المريضة، إنه يعترف بأنه مريض بالنكروفيليا أو مضاجعة الموتى.. بالطبع سيطر الشيطان، الذى أخل بكل وعوده كعادته، على حياته حتى

ماتت ابنته بعد إصابتها بمرض أودى بحياتها، وعند إلقاء نظرته الأخيرة عليها شعر بشيطانه الشاذ يتحرك.. هنا كان عليه أن يستيقظ، كيف يفعلها مع ابنته؟ الشيطان صار كيانًا بداخله يجب القضاء عليه، ولهذا واجه ميططرون رافضًا كل أوامره، لكن عقده كان ملزمًا «وعن طريق أحد العلماء علمت أن لعنتى لا فكاك منها، فحتى إن قتلت نفسى فالشيطان سيحتل الجسد البالى لينفذ مخططه»؛ ولهذا كانت خطته أن يدفن نفسه حتى الموت، ويكون قد سجن هذا الجسد فلا يملكه الشيطان....

«ولهذا وضعت معى صرتى بالكتاب والعقد الشيطانى لأخفيهما عن الناس، وهذه الورقة لتكون عبرة إذا قُدر لأحد أن ينبش أسرارى ويقلد خطاى فأحذّره».

كانت هذه العبارة الخاتمة لرسالة جمال الدين القاضى، حاصد الأرواح المدفون حيًّا..

شعر محسن بألم يعتصر قلبه، وعيناه تنفجران بالدموع وجسده يرتجف بشدة، وصداع يضرب رأسه..

كانت الآن الصورة واضحة جلية أمام عينيه.. شيطان يأسر الناس بشهواتهم ولا يعطى أكثر من الهلاك..

ارتدى ملابسه السوداء وتقلد منجله وخرج ليعود بوجبتى عشاء له وللشيطان، ولكنه وللمرة الأولى يرتجف ويشعر بقشعريرة كلما تذكر أنه سيقتل.....

●●●

مضى علاء يداعب القشة داخل كوب العصير فى صمت، بوجهه الشاحب وملامحه العابسة..

وأمامه جلست ريهام وقد احتقنت عيناها بالدماء بعد ليلة طويلة راودتها خلالها كوابيس مفزعة..

هل يمكنك تخيل أن صديقك آكل لحوم بشر؟

هل يمكن لمحسن الوديع المنطوى على نفسه دائمًا أن يكون ذلك الوحش الدامى؟!!

إذا كان هكذا، فلمَ لم يهاجم أيًّا من زملائه الذين هزئوا منه فى غادية ورائحة؟!!

تساؤلات كثيرة دارت بخلدها.. كانت قد اتخذت قرارها بإشراك علاء فى الأمر، فهى ليست بقادرة على حمل هذا العبء بمفردها، لكن علاء بوجهه المتجهم وصمته الغريب، وعينيه الزائغتين كان بعيدًا كل البُعد عمّا يخالجها...

- مالك يا علاء، منطقتش بأى كلمة من ساعة ما جينا؟!

نظر إليها علاء وما زالت عيناه زائغتين، حاول أن يبحث عن مبرر بعيد عن الحقيقة، لكنه دائمًا ما يفشل أمامها فهو لا يستطيع الكذب على ريهام، أما النقطة الأخرى فهو بشكل أو بآخر يريد أن يتحدث فى الأمر بعد ما لاقاه من جمود فى عقلية رؤسائه؛ ولهذا قرر الحديث:

- أنا اتوقفت عن العمل..

جحظت عيناها بشدة وهى تنظر إليه متسائلة:

- ليه إيه اللى حصل؟

قال لها بعد أن أشعل سيجارة:

- رافضين يصدقوا إن السفاح بيمارس طقس شيطانى وإنه بياكل قلوب ضحاياه..

نزلت الكلمات على رأسها كصاعقة من السماء، فآخر ما كانت تتوقعه سماع معلومة عن شخص آخر يأكل لحومًا بشرية، ورغم الغثيان الذى شعرت به من تخيل مشهد الدماء حول فم شخص وهو ينهش قطعة من جسم بشرى، فإنها سألته بصوت متقطع:

- طيب وإنت عرفت إزاى؟؟؟

- فاكرة موضوع النجمة؟

أومأت برأسها موافقة، فأردف قائلا:

- بحثت عنها ولقيت إنها رمز للشيطان وبتستخدم فى طقوس للسحر الأسود وجزء من الطقوس دى بيلزمه أضحيات بشرية، وده بالظبط اللى بيعمله القاتل....

لم يكن هذا الجزء تحديدًا ما تريد ريهام سماعه ولكنها جزئية أكل اللحم البشرى، إلا أن علاء صمت عند نهاية جملته فباغتته هى بسؤالها:

- طيب وعرفت إزاى إنه بياكل ضحاياه؟؟!!!

- قلوب ضحاياه.. هو قالى بلسانه وكان بيحاول يقتلنى أنا كمان...

ارتفع صوت ريهام فزعًا وهى تقول:

- يقتلك؟؟؟؟

ضحك علاء رغمًا عنه وهو يرى نظرة الحب فى عينيها، فقال:

- متخافيش مانا قدامك سليم أهو مفيش غير الجرح البسيط اللى فى إيدى والحمد لله خَف..

نظرت إلى يديه متعجبة فهذه هى المرة الأولى التى تعرف أن جرحه بسبب مواجهة مع قاتل خطير وهو لم يخبرها قبل ذلك فى حين أردف هو قائلا:

- ولما قلت الكلام ده للقيادة اتهمونى بالتأليف بحجة إنى فشلت فى القبض عليه..

فكرت قليلاً قبل أن تقول:

- وهو قالك إنه بياكل القلوب كده من دون مقدمات، مش حاجة غريبة دى؟!

ابتسم وهو يقول مداعبًا:

- مرحب مختار باشا...

احمرت وجنتاها خجلاً، فنظرت إلى كوب العصير أمامها ولكنه عاد إلى نبرته الجدية وقال:

- وهو بيحاول يقتلنى سألنى طعم قلبى هيكون أحسن ولا قلب الطفلة اللى كان قاتلها!!!

قشعريرة سرت فى جسد ريهام وهى تسمع هذه الجملة، لكنها قالت:

- يمكن قالك كده علشان يخوّفك منه مثلاً؟

- مط شفتيه وقال:

- جايز لكن إيه السر فى إنه ياخد قلوب الضحايا بتاعته كل مرة؟؟

صمتا لبرهة قبل أن تقول ريهام:

- هى حكاية الأكل دى مبقتش مستبعدة خالص الأيام دى..

نظر إليها مندهشًا وسألها:

- يعنى إيه؟؟

تنهدت بعمق وهى تروى له حالة محسن منذ البداية، وتلك المعلومات التى حصلت عليها عبر الإنترنت.. كان ما يسمعه علاء خطيرًا بحق، بل كان أخطر وأغرب ما سمعه يومًا.....

●●●

لكل قصة نهاية خاصة إذا كان صراع بين الخير والشر، لكن هنا الشر قوته بلا حدود!!!

هذا ما صار محسن يعرفه تمامًا الآن، خاصةً إذا كان هو مَن أسهم فى إعطائه هذه القوة بإعطائه كل هذه الأرواح التى يستمد قوته منها...

الرجفة الآن لم تعد تفارقه مطلقًا، بل زاد الأمر الآن كثيرا، فهو الآن لم يعد يقوى على الوقوف حتى، والشيطان ما زال لا يكف عن مطالبه...

فى هذه المرة الأخيرة، لأول مرة يرى النظرات المتوسلة والدموع فى عيون ضحيته، فكر مرارًا وتكرارًا فى التراجع، لكنه وجد ذراعه تتحرك فتنهى المهمة دون إذنه..

إنه لم يلحظ سابقا أن الشيطان يتحكم فى جسده أيضًا!!!

ليلة جديدة وروح جديدة على وشك الإزهاق، وشيطان مريد لا يعبأ بجسده المتهالك المرتجف..

امتلأت الحجرة بالدخان قبل أن ينقشع فيظهر بوجهه القبيح ويقترب من محسن فيشتم رائحة أنفاسه العفنة الساخنة، فيتراجع محسن إلى الخلف وهو يشعر بهاتين العينين الدمويتين تخترقان تلابيب عقله فيشعر بدرجة حرارة رأسه ترتفع....

ارتفعت البقعة السوداء فى عينيه فجأة حتى اختفت تماما، وتحولت عيناه إلى اللون الأبيض الصافى، والشيطان يتحول إلى

دخان ويتسلل إلى أنف محسن حتى اختفى، فتسمر محسن فجأة قبل أن ينتصب واقفًا، وبحركة آلية يرتدى ملابسه السوداء وعينيه البيضاويتين....

خرج الشيطان من المسكن بين القبور متلبسًا بجسد محسن الذى لم يمنعه ذلك من الترنح والحركات اللا إرادية...

هذه المرة كان للشيطان مخططات أخرى أكثر من مجرد روح سيحصدها...

●●●

انطلقت الرصاصة تشق كتفه فيترنح للحظات قبل أن يرفع منجله ويهاجمها مرة أخرى غير عابئ بذلك المسدس المصوب إليه مباشرة... هو يعلم أن مَن سيموت هو جسد محسن كما يعلم أيضًا أن محسن آجلاً أم عاجلاً ميت، فلقد دخل محسن إلى مرحلة خطيرة من مرض الكورو، وهى المرحلة السريرية، والتى نهايتها الموت فى كل الأحوال، فإن كان الأمر كذلك فليؤدِّ جسده خدمة أخيرة لم يكن لينفذها محسن لو كان بكامل قوته...

روح اثنين يشكلان خطرًا على الشيطان ومخططه، ريهام وعلاء، فالأولى سبب فى هذه الحالة من الرفض التى انتابت محسن للشيطان، والثانى سيقترب بشدة من كشف الحقيقة التى يجب أن تظل مجهولة...

عندما طرق الباب بجسد محسن وفتحت ريهام، تعجبت بشدة من تلك المفاجأة، فزيارة مثل هذه لم تكن فى الحسبان، كما أن ملابسه الغريبة أثارت الريبة، وما حسم غرابة الأمر هاتان العينان البيضاويتان، فسألته بصوت متهدج:

- محسن، إنت فيك إيه؟؟

إلا أنه دفعها بقوة فطارت فى الهواء لمترات قبل أن تسقط وهى تطلق صرخة عالية أخرجت علاء من غرفة الصالون وهو يُشهر مسدسه، وما أن رأى المشهد حتى ضغط على الزناد، لكن انحناءة من جسد محسن، الذى يتلبسه الشيطان، جعلت الرصاصة تستقر فى كتف الجسد -دعنى أصفه بالجسد فهنا محسن ليس له وجود-

ترنح الجسد قليلاً قبل أن يشهر منجله ويصوبه إلى قلب ريهام، إلا أن رصاصة علاء الثانية أطاحت بالمنجل من اليد فالتفت الشيطان إلى علاء فى غضب، واقترب منه وكال له لكمة شعر معها علاء بالدوار، إلا أنه استعاد توازنه بسرعة لتطير قدمه فى الهواء لتصطدم ببطن جسد محسن فحانت منه انحناءة قبل أن يتبعها علاء بلكمة قوية جعلته ينتصب مرة أخرى فيتهاوى الجسد أرضًا....

صدرت زمجرة مرعبة من حنجرة محسن قبل أن ينتفض بشدة ويخرج دخانًا من فمه وأنفه بكثافة، اصطحبه بعض قطرات الدماء فيجتمع الدخان الكثيف ليتشكل جسم هلامى سرعان ما بدأ يتحول إلى مسخ بشع..

شعر علاء أن الموقف يزداد خطورة فجذب ريهام من ذراعها وهرع إلى الباب بسرعة لينطلقا هاربين...

أدرك الشيطان أن الجسد الواهن الذى احتله سبب له من الضعف حتى جعل علاء يتفوق عليه، والذى استغل لحظة تشكل الشيطان ففرَّ هاربًا بصحبة ريهام التى كان جسدها ينتفض بشدة وهى تلهث....

ما هى سوى دقائق حتى كان علاء ينطلق بسيارته بسرعة صاروخية، فجأة استدارت السيارة حول نفسها بعنف فكادت أن تنقلب، ما جعل صرخة مرعبة تخرج من بين شفتى ريهام.. بصعوبة بالغة استطاع علاء إيقاف السيارة وهو يصرخ فى ريهام:

- انزلى بسرعة..

لم تتردد لحظة وهى تحاول فتح الباب، لكن الباب رفض مطلقًا، فقالت فى فزع:

- الباب مش بيفتح!!!!

ضرب علاء الباب بكل قوته لكن دون جدوى، وهو يسمع من المقعد الخلفى صوت فحيح فينظر خلفه ليجد أبشع ابتسامة يمكنه أن يراها مع هذين النابين، والزبَد المتساقط من بين شفتى الشيطان..

جحظت عيناهما بشدة، وعلاء يضرب باب السيارة دون جدوى والباب لا يستجيب...

شحب وجه ريهام بشدة وهى تشعر بقبضة تعتصر عنقها فلا تستطيع التقاط أنفاسها وأصدرت حشرجة وهى تختنق..

دفعها علاء بشدة محاولاً ألا تفقد وعيها....

فكر علاء سريعًا ليخرج مسدسه ويطلق عدة طلقات باتجاه الزجاج الأمامى للسيارة فيسرع خارجا منه قبل أن يستدير ليجذب ريهام بقوة مُخرجًا إياها...

ما أن بلغ الهواء رئتيها حتى سعلت بشدة فاستندت على كتف علاء الذى أسرع بها عبر شارع جانبى، إلا أنه على بُعد مترات وجد الشيطان أمامه... التفت علاء يمينًا ويسارًا يبحث عن مخرج من هذا المأزق دون جدوى...

تراجع خطوات إلى الخلف ليجد فجأة طوق نجاة..

على بعد خطوات كان باب مسجد صغير أسفل إحدى البنايات، فدفع ريهام بسرعة إلى الداخل وهو خلفها مباشرة..

وبالخارج أصدر الشيطان زمجرة عالية غاضبة، إلا أنه نظر إليهما للحظات بعينيه الناريتين ليختفى بعدها...

التقطا نفسَيهما بصعوبة وهما ينظران إلى بعضهما بعضًا قبل أن يخرج هاتفه النقال ويجرى اتصالا هاما جدا..

●●●

استعاد محسن وعيه بصعوبة، وبرؤية ضبابية حاول أن يحدد مكانه وبصعوبة حاول أن يتحرك بجسده المنهك ولكنه شعر بألم شديد فى كتفه اليمنى التى لمحها تنزف بشدة...

ضغط على جرحه وهو يحاول أن يتذكر ما الذى أتى به إلى هنا، أو ما أصابه لكنه لا يتذكر أى شىء سوى بعض الأحلام الغريبة التى راودته كأنه فى منزل ريهام وأن علاء يطلق النار عليه... نظر من حوله محاولاً تحديد موضعه ففغر فاه بشدة، إنه فى منزل ريهام فعلاً، وهذه الإصابة فى كتفه، إنه لم يكن يحلم بل هى حقيقة ولكنه لا يتذكر أى شىء... شعر بتوتر بالغ عندما وقعت عيناه على منجله فهل فعلها وقتل ريهام؟؟؟

تلاشت كل آلامه أمام هذه الغصة فى حلقه وهو يتخيل نفسه يقتلها بأعصاب باردة...

ما أعطاه أملاً أنه لم يجد أى آثار لدماء سوى لجرحه النازف كما أنه لا جثث.. وعى لنفسه فجأة فإن عليه الهروب فورًا..

تقاذفته جدران المنزل قبل أن يخرج من الباب المفتوح بقدمين تكادان تحملانه وهو يمسك بكتفه المصابة ودوار يضرب رأسه فيسقط أكثر من مرة ثم ينهض محاولاً العودة إلى وكره بأسرع ما يكون...

●●●

سرَت قشعريرة فى جسد ريهام وهى تجد نفسها واقفة بين عدد كبير من شواهد القبور داخل الحوش الذى يسكنه محسن، وعلاء الذى وقف بجوارها يراقب رجال الشرطة وهم يقلبون المكان رأسًا على عقب، ومختار ينفث دخان سيجارته والتوتر بادٍ تمامًا على وجهه يتابع عملية التفتيش..

كان من الواضح أنهم لم يجدوا شيئًا ذا بال حتى هذه اللحظة سوى بعض الكتب الجامعية. بقلق نظر مختار إلى علاء الذى أشعل بدوره سيجارة وينظر إلى ريهام المرتجفة وهى تتعلق بذراعه ودمعات تنساب من بين جفنيها فهى لم تتخيل يومًا أن محسن، الطالب المتفوق هادئ الطباع، يمكنه أن يكون هو ذلك

الوحش آكل اللحم البشرى، كما أنها لم تتخيل يوما أن يكون مسكنه بهذه القسوة.. وقد تعجبت كثيرًا وخطيبها يملى اسم محسن لقائده عبر الهاتف طالبًا أن يتحرى عن سكنه فى المقابر، ويبدو أن الأمر لم يكن عسيرًا، فدقائق قبل أن يتأكد حدس علاء عبر الهاتف مرة أخرى...

لكن إلى هذه اللحظة لم يظهر محسن، لعله ما زال فى منزلها كما أنه لا دليل حتى الآن على اتهامه سوى ما حدث منذ ساعة فى منزلها...

قطع صوت هاتف مختار النقال هذا الترقب ليجيب عليه بصوته الخشن ويستمع للحظات قبل أن ينعقد حاجباه وهو ينهى مكالمته وينظر إلى علاء قائلا:

- مفيش حد فى البيت!!!!

تبادل كل من علاء وريهام النظرات قبل أن تقول ريهام:

- ممكن يكون فاق ومشى..

قال مختار:

- إنتم بتتكلموا عن مريض بمرض خطير زى ما شرحلى علاء، وكمان مصاب برصاصة وأهم من ده كله بوصفكم واحد شبه ميت، وجايين دلوقتى تقولوا فاق وهرب...

كان مختار يرمق علاء بنظرات نارية غاضبة لولا صوت أحد الرجال وهو يقترب حاملا صرة مصنوعة من القماش الأسود، ناولها لقائده قائلا:

- لقينا دى يا فندم جوا..

فتح مختار الصرة سريعًا، وعيون علاء وريهام متعلقة بالصرة التى وجد بداخلها الكتاب ورقعتين من الجلد البشرى، والحافظة التى أخرج منها علاء الورقة المتهالكة عندما قرر مساعدة رئيسه فى البحث..

كان مختار قد أخذ يتصفح الكتاب سريعًا فى حين فض علاء تلك الرسالة من حاصد الأرواح المدفون حيًّا..

- شىء فظيع فعلا...

نظر كل من ريهام ومختار إلى علاء الذى أشار إلى الورقة فى يده وعيناه جاحظتان، فتناولها مختار ليلقى نظرة قبل أن يمتقع وجهه بشدة وهو يشير إلى الرقعتين قائلا:

- ودول العقدين اللى اتعملوا مع الشيطان...

كادت تمسك بهما ريهام إلا أن مختار حذرها قائلا:

- خلى بالك ده جلد بشرى..

شعرت ريهام بالاشمئزاز، وسحبت يدها بسرعة لتمسحها فى ملابسها..

انتهى التفتيش وصادرت الشرطة المضبوطات قبل أن يغادر كل من علاء وريهام ومختار المكان بعد إعطاء التعليمات للقبض على محسن بمجرد أن يظهر...

●●●

ليلة طويلة جدا قضتها ريهام بين شيطان حاول قتلها بمنجل، وبين صديق اكتشفت توًّا أنه قد وقع عقدا مع الشيطان، وبين شواهد المقابر....

كانت عيناها ككاسات محتقنة بالدماء، ووجهها شاحبا، فى حين جلس والدها بجوارها على الفراش وهى تنتفض بشدة محاولاً تهدئتها...

دق جرس الهاتف المنزلى فقال والدها:

- أكيد علاء بيطمن عليكِ....

التقط سماعة الهاتف ليأتيه صوت خافت يطلب ريهام. تعجب الوالد إلا أنه ناولها السماعة

- ألو

- ريهام الحقينى..

جاءها الصوت باكيا مستغيثا فلم تستطع التحقق منه فقالت:

- مين معايا؟

- محسن... أنا محسن..

ظهر الرعب فى عينيها وهى تقفز من مكانها وتقول:

- إنت فين يا محسن؟ لازم تسلم نفسك؟

قال:

- صدقينى مينفعش علشان كده عاوزك تساعدينى..

- طيب أنا هقدر أعملك إيه؟؟

- لا، مش إنتِ، أنا عاوز خطيبك هو الوحيد اللى ممكن يساعدنى..

- طيب إنت فين؟؟

- قوليلوا يقابلنى قبل المقابر بشارعين كمان ساعة ضرورى يكون لوحده ولو أخذوا الكتاب يجيبه معاه، أنا عارف إنهم مستنينى هناك دلوقتى...

لم تعرف ريهام بما ترد إلا أن نبرة محسن المتوسلة جعلتها توافق دون أن تعى ما قد يصيب علاء، فقررت أن تصطحبه إلى هناك... فشىء ما بداخلها يحملها جزءًا من المسؤولية تجاه صديق وتجاه حبيب...

●●●

الفصل الأخير

اتكأ محسن على أحد الجدران عند ركن يمكنه الاختباء فيه بعيدا عن عيون المارّة فى انتظار علاء فهو قد اتخذ قراره أن ينهى الأمر الآن...

دارت كشريط فيديو أمام عينيه كل تلك الأحداث التى وضعت لحياته نهاية حتمية، فانسابت من بين جفنيه دمعات متسللة متحسرًا على ما آلت إليه الأحداث..

لم يكن محسن يعرف بعدُ حقيقة مرضه إلا أنه بداخله يشعر بالنهاية قريبة جدا..

فى الموعد المحدد توقفت إحدى سيارات الشرطة من نوعية بوكس فورد الشهيرة، فشعر محسن بتوتر سرعان ما زال عندما رأى علاء وريهام يخرجان منها ويتلفتان يمينًا ويسارًا...

- ريهام... ريهام..

نادى محسن عليهما بصوت يشبه الهمس، فأشار علاء الذى التقط الصوت بسرعة إلى موضع محسن، فهرع الاثنان إليه، وعلاء يده على مسدسه فى حزامه...

نظر إليه محسن قائلا وقد لاحظ هذا:

- مفيش داعى يا حضرة الظابط للمسدس..

ثم التفت إلى ريهام وقال وعيناه تحملان الكثير من المعانى الرقيقة:

- إنتِ إيه اللى جابك؟!!

قالت بصوت حنون:

- إنت زميلى وصديقى مينفعش أسيبك فى الظروف دى...

نظر إليها ثم نظر إلى علاء وقال:

- اسمعنى يا حضرة الظابط، اللى بتفكر فيه مش هينهى المشكلة يعنى القبض علىّ، وأنا طلبت أشوفك علشان نخلص الموضوع....

نظر إليه علاء متشككًا وقال:

- ويخلص إزاى فى رأيك بعد كل الجرايم اللى ارتكبتها؟!

أنّة ألم لا إرادية خرجت من محسن الذى نزفت ذراعه بشدة، فشعر بدوار لا يُحتمل وقال:

- أنا عاوز أنهى الموضوع أكتر مما تتخيل، لكن لازم تعرف إنك بتواجه أخطر كائن ممكن تقابله، مخلوق من شر خالص..

- طيب وإنت فجأة كده ضميرك صحى وعرفت إنك بتتعامل مع الشيطان؟!!

كانت نبرة علاء تهكمية وهو ينظر إلى عينى محسن الذى بدا أنه سيفقد الوعى وهو يقول:

- يعنى إنت عارف كل حاجة؟؟؟

نظرت ريهام إلى علاء نظرة فهمها، فمحسن يترنح بشدة وقدماه لم تعودا تحملانه فعلا وفجأة سقط مغشيًّا عليه...

بعد دقائق كانت سيارة البوكس فورد تقف أمام أحد المستشفيات ومجموعة من التمريض يحملون محسن إلى ناقلة طبية..

وفى ممر طويل أسرع المرضان بالنقالة بسرعة فوجه محسن الشاحب كان ينذر بأنه على وشك مغادرة الحياة، وريهام وعلاء يتبعانهما حتى غرفة الطوارئ وهناك توقفا..

قالت ريهام متسائلة:

- إنت هتعمل إيه؟

مط علاء شفتيه وقال:

- والله ما أنا عارف، واجبى بيحتم علىّ إنى أقبض عليه، لكن هل القبض عليه هيحل المشكلة وهيمنع الجرايم؟؟؟

- إنت عارف إنه كده كده هيموت!!!

نظر إليها نظرة حائرة وهو يقول:

- موته كمان مش هيحل المشكلة، لأن الشيطان هيستغل جسمه..

ارتفع حاجباها مندهشة، فى حين لاذ هو بالصمت يفكر ويفكر..

●●●

خرج الطبيب من غرفة الطوارئ:

- أستاذ..

موجهًا حديثه إلى علاء الذى اتجه إليه وخلفه ريهام:

- خير يا دكتور؟؟؟

هز الطبيب رأسه قائلا:

- حالته خطيرة جدا لأنه نزف كتير، لكن هو فيه حاجة غريبة إنتم تعرفوا إذا كان عنده مشاكل تانية؟؟

تبادل علاء وريهام النظر قبل أن يقول علاء:

- هو مريض بمرض خطير فعلاً اسمه كورو..

رفع الطبيب حاجبيه متعجبًا من اسم المرض وهو يعيد اسمه مرة أخرى:

- كورو؟؟؟!!!!!!

أخرجت ريهام من حقيبتها ورقة ناولتها للطبيب الذى عدل من نظارته وهو يطالع تقرير المعمل فى اهتمام قبل أن يقول:

- إحنا لازم نخطر الشرطة للأسف؛ لأنه مصاب برصاصة كمان، المرض اللى عنده ده المجهول ممكن يكون مُعدى..

أخرج علاء بطاقته وناولها للطبيب وهو يقول:

- أعتقد مفيش داعى، الشرطة عارفة فعلا..

مط الطبيب شفتيه بعد تأكده من شخصية علاء فى حين قال الأخير:

- ممكن نقابله؟

هز الطبيب رأسه نافيًا، إلا أن علاء قال بإلحاح:

- صدقنى الأمر خطير جدا وهو فى تدهور... مش هنتعبه.

- أوكى، خمس دقايق مش أكتر..

هزا رأسيهما موافقين ودلفا إلى الغرفة..

كانت العديد من الأجهزة متصلة بجسد محسن الذى فتح عينيه بصعوبة لينظر إليهما قبل أن يقول بصوت واهن:

- مفيش وقت لكن لازم تعرف كل حاجة وبسرعة...

ربتت ريهام على كتفه محاولة تهدئته فى حين قال علاء:

- اتفضل أنا سامعك..

نظر محسن إلى ريهام وابتسامة شاحبة ترتسم على شفتيه قبل أن يقول لعلاء:

- أنا موتى مش هيمنع الشيطان إنه يكمل مهمته لأنى بعت نفسى ليه، روحى وجسمى، فلازم تحرمه من جسمى..

تبادل كل من ريهام وعلاء نظرات متعجبة قبل أن يقول علاء:

- إزاى مش فاهم؟!!

قال محسن وهو يتنفس بصعوبة:

- لازم تدفنّى حالا، دى الطريقة الوحيدة إنك توقف كل حاجة..

ارتفع حاجبا علاء مندهشا وهو يقول:

- وإنت صاحى!!!!

- أيوة لأنى لو مت وخد جسمى هيكون أقوى كتير، أما وجسمى مريض هياخد الضعف منى.. كمان لازم تتخلص من الكتاب بأى طريقة..

هنا تدخلت ريهام قائلة برقة:

- ارتاح إنت بس وكل حاجة هتكون على....

لم تكد تكمل جملتها حتى وجدت نفسها تطير بعنف لتسقط على أحد المقاعد بقسوة وهى تصرخ..

كانت ذراع محسن قد دفعتها بشدة وهو ينتزع الأسلاك والخراطيم وعيناه تتحولان إلى اللون الأبيض ويقول بصوت مبحوح متحشرج:

- هل تعتقدان أن الأمر بهذه البساطة؟؟؟

وانطلقت ضحكة شيطانية..

كان رد فعل علاء سريعًا، فقفز فوق جسد محسن محاولا تثبيته إلا أن الأخير دفعه بشدة ليسقط علاء أرضا..

انتصب جسد محسن وقد نزع كل ما اتصل به من أسلاك وهو يدير نظره بينهما قبل أن يهاجم علاء بركلة فى وجهه جعلته يتدحرج خطوتين، إلا أنه قفز واقفًا وهو يحمل مقعدًا خشبيًّا

يهوى به على رأس محسن الذى استدار ليواجه ريهام إلا أن المقعد جعله يلتفت مرة أخرى إلى علاء الذى صرخ فى ريهام:

- اهربى بسرعة..

لم تتردد لحظة واحدة فهرعت نحو الباب لتنطلق عبر الردهة الطويلة عدوًا. فى نفس التوقيت تفادى علاء لكمة على فمه جعلت الشيطان يفقد توازنه فعبر علاء الباب بسرعة، إلا أن الشيطان عرقله على بُعد مترين من الباب فسقط بقوة على أرضية الممر الطويل فقفز الشيطان، المتلبس بجسد محسن العارى إلا من سروال قصير، على علاء الذى تدحرج بسرعة ليسقط الشيطان أرضا فيصطدم رأسه فى البلاط فقفز علاء فوقه بسرعة وجذب ذراعيه إلى الخلف محاولا تثبيته..

كان عدد من المرضى والأطباء قد تجمهروا فصرخ علاء الذى شعر بذراعيه تتفسخ أنسجتهما:

- قرآن... قرآن..

شق رجل عجوز صفوف المشاهدين وقال بصوت جهورى:

- الله لا إله إلا هو الحى القيوم...

صدرت زمجرة قوية من حنجرة محسن، وشعر علاء بمقاومة

محسن تقل تدريجيا وزمجرة متوحشة تحولت إلى عواء يشبه صوت كلب يحتضر...

اقترب أحد الأطباء وناول علاء حزامًا جلديًّا لفه على ذراع محسن وشده بقوة..

أشار علاء إلى رجلين اقتربا بتردد وحذر ليحملا محسن ويلقياه فى خلفية البوكس فورد فانطلق علاء بسرعة وكانت ريهام قد فتحت جوالها على بعض آيات القرآن، ما جعل الجسد يتلوى بشدة..

فجأة وجد علاء جسده يخترق الهواء قبل أن يسقط على بعد مترات بعد أن اصطدم بأحد المشاهدين وسقطا أرضًا، فيشعر علاء بأنين ضلوعه..

كانت مفاجأة حقيقية لعلاء الذى لم يتوقع أى ردة فعل بعد أن استسلم جسد محسن تماما!!!

فتح علاء عينيه ليجد محسن ما زال مطروحا أرضا، ويداه مكبلتان إلى ظهره بالحزام الجلدى إلا أن هناك وبالقرب منه كان المشهد مفزعًا بحق.

●●●

النهايات العادلة ليست دائما حقيقية..

ولأن الشيطان عدو دائم للعدالة التى هى محور الحياة البشرية فسرعان ما اتخذ تدابيره الشيطانية اللعينة..

جحظت عينا علاء بشدة وهو ينظر إلى ريهام التى ابيضت عيناها بشدة والدماء تسيل من كفها اليمنى بغزارة وهى تمسك بقطعة زجاجية مدببة وتتحنى لتواجه محسن المطروح أرضًا على وجهه لتجذب رأسه إلى الخلف وتجتز عنقه وسط شهقات وصرخات المشاهدين الذين أصابهم الهلع وقد فغرت أفواههم بشدة..

صرخ علاء:

- ريهام، لأ...

لكن صيحته ذهبت أدراج الرياح وشلال من الدماء الحارة يتدفق على أرضية المستشفى، وريهام تدفع بالرأس الزجاجى المدبب بين ضلوع محسن الذى انتفض نفضته الأخيرة، وتشق ظهره طوليًّا قبل أن تمد يدها وكأنها تبحث عن شىء قبل أن تنزعها غارقة فى الدماء..

كان المشهد مقززًا ومرعبًا فى آن واحد، جعل علاء لم يقوَ على الوقوف وهو يرى ريهام تمسك بقلب محسن الذى ما

زال ينبض، وتقربه إلى فمها وتنشب فيه أسنانها بقوة، ليعلن «ميططرون» الشيطان أنه خلق حاصدًا جديدًا للأرواح، ولكن هذه المرة في جسد أنثى...

تمت بحمد الله

عمرو ممدوح

الفيوم

# الفهرس		الصفحة

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

كان المشهد مقززًا ومرعبًا في آن واحد، جعل علاء لم يقوَ على الوقوف وهو يرى ريهام تمسك بقلب محسن الذي ما زال ينبض، وتقربه إلى فمها وتنشب فيه أسنانها بقوة، ليعلن "ميططرون" الشيطان أنه خلق حاصدًا جديدًا للأرواح، ولكن هذه المرة في جسد أنثى...

ISBN 978 977 399 591 1
9789773995911